أ. د. محمد الأمين بلغيث
جامعة الجزائر

النظرية السياسية عند الإمام الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

منشورات
دار قوافل للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

النظرية السياسية عند الإمام الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس

المؤلف: **أ. د. محمد الأمين بلغيث**

الطبعة الأولى: فبراير 2017

الناشر: دار قوافل للنشر

المطبعة: طوب بريس - الرباط

الإيداع القانوني: 2017MO1014

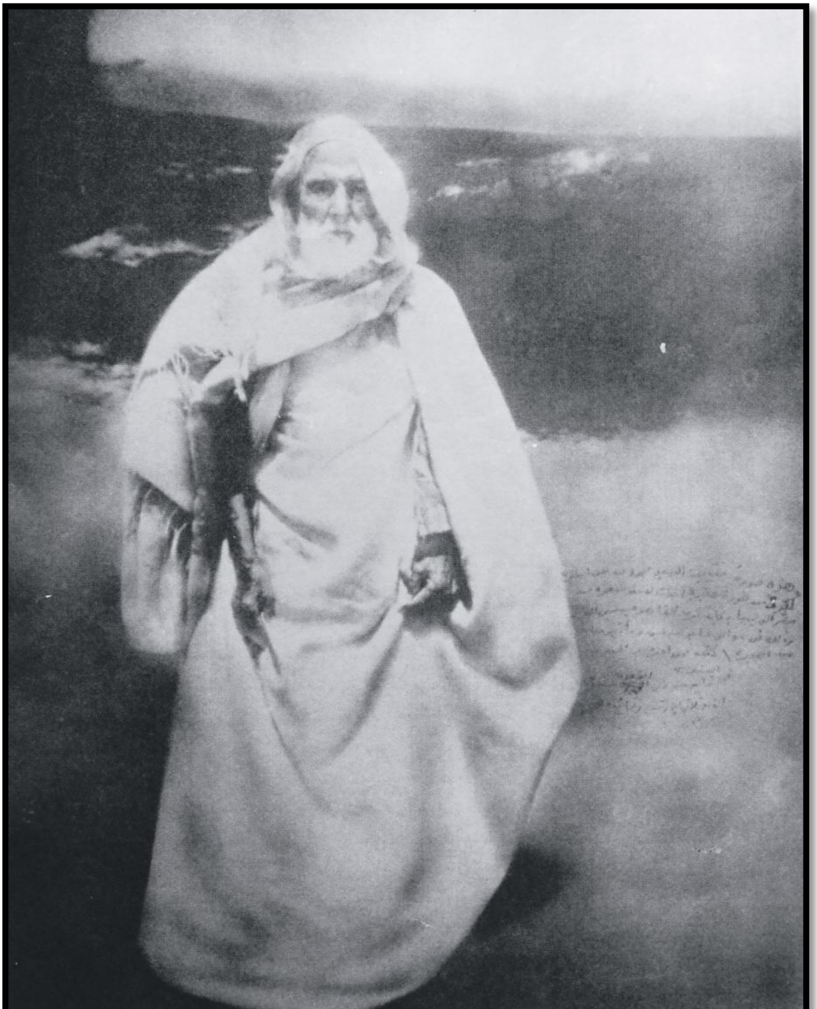
ردمك: 978-9954-39-742-8

الإهداء

إلى السيد محمد بن علي بن السنوسي الكبير مؤسس الحركة السنوسية، ورائد الشهود الحضاري بالقطر الليبي الشقيق وغرب إفريقيا، الذي وقف في وجه حملات المستعمرين الغربيين هو وتلامذته الأوفياء للخط الحضاري، مبرهنًا لأجيال النهضة والجامعة الإسلامية، أن طريق التغيير لا يكون إلا من خلال العودة إلى البديل الحضاري الشامل.

إليه وإلى كل المكافحين في سبيل عودة الأمة إلى الصراط المستقيم، أُهدي هذه الورقات عربون اعتراف بفضلهم بعد الله سبحانه وتعالى على أجيال الحركة الوطنية الاستقلالية والحركات الإصلاحية في أقطار المغرب الكبير.

محمد الأمين بلغيث



صورة نادرة للداعية المصلح

الشيخ محمد بن علي بن السنوسي الكبير [ت 1859]

المقدمة الموريتانية [الطبعة الثالثة]

أول العنقود في أعمالي هذه الدراسة حول الإمام الحضرمي الفقيه القيرواني المهموم المغمور[489هـ/ 1096م]، فقد كتبت عنه دراسة متواضعة خلال السنة الجامعية 1981/ 1982م بإشراف المغفور له بإذن الله الدكتور عطاء الله دهينة،ولقد أكرمني الله سبحانه وتعالى أن جعل هذه الدراسة الأولى في مساري العلمي تلقى القبول الحسن عند الباحثين، بل أصبحت أفخر على أندادي فأقول لهم أنا من عرف الجزائريين بالإمام الحضرمي ولفترة طويلة إلى أن أصبح الحديث عن الفقه السياسي وكتب مرايا الأمراء ونصائح الملوك فاشيا بين الباحثين.

لن أبيع الماء في حارة السقائين كما يقول إخواننا في مصر، فالعبد الضعيف لن يحدث الموريتانيين عن أسلافهم، فقد كفاني من الكبار في العصر الحديث، العلامة المختار ولد حامدون، ذاكرة موريتانيا الحيَّة، ولا أخفي على قارئ هذا الكتاب سرًّا، فقد عشت مع صحراء لمتونة والأحلأف الصنهاجية ردحا من الزمن، بل تتبعت حلقات تاريخ موريتانيا إلى غاية الوقت الحالي، وتعرفت على أعمال كبار الباحثين منذ التأسيس الأول لاسم موريتانيا إلى غاية الراهن.

ومن أكمل الأعمال على هذا الصعيد قائمة المصادر والمراجع الملحقة بأطروحة الدكتور عبد الودود ولد الشيخ[1] التي تحتل الصدارة فيما

---

[1] – Nomadisme, Islam et pouvoir politique dans la société maure précoloniale(XIe-XIXe S.). Essai sur quelques aspects du tribalisme. Thèse pour le doctorat en =

قام به من أبحاث علمية جادة حتى الآن حول ماضي البلاد الموريتانية كما نبه إليها أكثر من باحث من جيلي أو من الجيل الذي جاء بعدنا، ومنهم الدكتور محمد المختار ولد السعد وحماه الله ولد السالم ومحمدو محمدن أمين،والنَّاني ولد الحسين، وكل الفاعلين في المشهد والحقل التاريخي الموريتاني تنظيما وترجمة وهذا كله دفعني إلى إعادة قراءة أوراق وأبحاث جيل الدراسات الأنثروبوليجية، ورواد علم الاجتماع الاستعماري، إيدمون دوتي، خافيير وكوبولاني إسماعيل حامد وكل الذين مهدوا الطريق إلى تزوير تاريخنا على ألسنتنا في غياب الأرشيف المحلي واضطراب الرواية الشفوية وقلة خبرة الباحثين في الاستفادة من تراث أسلافنا من خلال ما يسمى بالمصادر الدفينة[كتب الفقه والنوازل وأخبار الصلحاء، ناهيك عن كتب الرحالة والجغرافيين رواد اكتشاف الآخر والغيرية.

من القضايا الحساسة في تاريخ المغارب في العصرالحديث هو تكرار الحديث عن أزمات أو أزمة القرن الرابع عشر الميلادي [مرحلة ما بعد المرابطين والموحدين] وهو قرن وعصر العلامة المجتهد عبد الرحمن بن خلدون صاحب كتاب العبروالمقدمة، الذي استوعب مصنفات الإمام الحضرمي/ ومقاربات السلطان الزياني أبي حمو موسى سلطان الزيانيين، واقترب من أعمال صديقه لسان الدين بن الخطيب، وغيرها من الأعمال الشاهدة على صورة الثقافة والعلم في زمن بداية صعود الغرب وارتكاس الشرق.

=

sociologie, Paris V, Rène Descartes 1985, 3 vol.

وحتى ندرك إشكالية هذه القضية نقول أن هناك اتفاق بين المؤرخين أن القرن الثالث عشر الميلادي هو قرن الغرب الأوروبي، ويمثل في العلاقات الدولية قرن صعود الغرب وارتكاس الغرب الإسلامي[المغرب والأندلس].حيث انتصر الغرب لوحدته العسكرية والسياسية في المرحلة الأولى على الرغم من تخلفه على**"الشرق بمدنه التجارية الكبيرة والمتطورة في الميدان الاقتصادي أكثر من الغرب، القروي أساسًا"**،**وقد درس غربيون منصفون** أيام التحولات الكبرى خلال القرن الثالث عشر، قرن النظام الدولي الجديد، أو قرن ممالك الغرب المسيحي./ كما أكدت الباحثة جانيت.ل. أبولُغْد[1]، في دراستها الجادة حول **"النظام العالمي في القرن الثالث عشر** ". وقد حقق هذه المسألة بشكل جيد المؤرخ المغربي إبراهيم القادري بوتشيش وهو يرد على ملاحظات وآراء المؤرخ بن سالم حميش صاحب الدراسة القيمة عن الخلدونية[2].

سوف أنبه في هذه المقدمة إلى السجال الدائر بين المدرسة التاريخية المغربية والمدارس الغربية حول أزمة القرن الرابع عشر.وهذا تكريمًا لكل الصادقين من الباحثين الذين أراهم قد استوعبوا الدرس جيدًا".

---

[1]. جانيت.ل. أبو لُغْد، النظام العالمي في القرن الثالث عشر(مجلة الاجتهاد) العدد السادس والعشرون والسابع والعشرون، بيروت، السنة السابعة، دار الاجتهاد، شتاء وربيع العام 1415هـ/ 1995م.

[2] حميش،سالم.،الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، بيروت، دار الطليعة، أبريل، 1998م. حميش، سالم، التراكم السلبي والعلم النافع (عن قراء ابن خلدون)،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2001م.

قد نجانب الحقيقة إذا كان الجزم منهجنا في هذا الموضوع الحسَّاس، المتعلق بقضية نمطية عند بعض الدارسين، إذ جل من تصدَّى إلى حياة العلامة عبد الرحمن بن خلدون، وإلا واعتبره فلتة من فلتات الزمان، فهو الشمعة التي تنير الطريق في ظل القرن الرابع عشر، قرن السقوط الحضاري والارتكاس والتراجع عن المساهمة الحضارية للعالم الإسلامي.

وهذا موضوع خطيرٌ بحق لأن القرن الرابع عشر هو الآخر يمثل حالة الضعف التي عرفتها الأمة منذ القرن الثالث عشر[قرن صعود الغرب المسيحي] لكن ليس معنى هذا أن الأمة لم تعد منتجة بما فيه الكفاية للحفاظ على النفس، لكن إذا تتبعنا الأمر في الغرب الإسلامي على الأقل فسوف نجد أن المنطقة لا تزال تشارك في الدفاع عن نفسها وتساهم بإنتاج علمي وفير ولو غلب عليه الاجترار والتلخيص، كما كانت عليه الثقافة العربية الإسلامية.

أعتبر القرن 14م قرن الأزمات أو "عصر الخلافات" فقد زاد الوضع تأزّما بتفشّي الطاعون الأسود سنة 1347 الذي حصد أرواح حوالي ثلث السكّان في ثلاث سنوات فقط. على أنّ هذه الفترة كانت أيضا فترة حاول فيها الحكّام فرض سلطانهم وبدأ فيها النبلاء في إنشاء مناطق نفوذ داخل الممالك المسيحية بالمتوسّط.

لقد كان الإمام الحضرمي من رواد النخبة التي تعاملت مع سلطة زعيم [أبو بكر بن عمر] [أمير الحق 480 هـ/ 1087م]له من الورع والتقوى ما نجده في سلوكه السياسي والعسكري في صحراء لمتونة وبلاد غانة، لهذا تنبه مترجمنا إلى أهمية التقاليد الإدارية والرقابة على الولاة حتى تستكمل

الدولة المرابطية مؤسساتها الكاملة، فمساهمته مع مساهمة الجهاز التعليمي والنخبة الفقهية بالعدوتين المغربية والأندلسية قد جعلت من دولة المرابطين في مصاف الدول السلطانية التي رسخت الأمن الغذائي والنفسي وهذا بالدفاع عن اليتيمة[الأندلس] والوقوف في وجه حركة الاسترداد المسيحي في شبه جزيرة إيبيريا.

كيف ساهم الإمام الحضرمي في بناء رسوم الملك في دولة بدوية تنقصها عراقة في الحكم، ثم ما مدى مساهمته في الدرس العقدي والأصولي على طريقة نظار الأشاعرة كما أبرزها كتابه[عقيدة أبي بكر الحضرمي] المكتشف حديثا، وقد بينت مكانته في هذا الدرس في كتابنا"دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي" حتى لا أكررما ذكرت.

حسبي هنا أن أقول في هذه المقدمة الموريتانية أن الإمام الحضرمي بين الحقيقة التاريخية والخيال الشعبي هو صورة جميلة لكل الذي نسعى من أجل التنبيه إلى مكانتهم في تحقيق العدالة بين رعية مهملة في زمن الشتات، وفوضى ممالك الطوائف ببلاد المغرب، وهو أيضا من النماذج الواضحة حول السياسة السلطانية من خلال التنظير لدولة المرابطين كما جاء في مصنفه الصغير "كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة".

والله ولي السداد والتوفيق

(ضاحية المحمدية) الجزائر المحروسة

13 جمادى الأولى 1438ه

10 فبراير 2017م

مقدمة الطبعة الثانية

تعود قصة هذا الكتاب إلى مرحلة الدراسات العليا حينما انتقلنا من السنة التمهيدية إلى السنة الأولى للماجستير، حيث بدأت أفكر في اختيار موضوع مذكرة التخرج، وكان اهتمامي يخص التعامل مع الدراسات الجديدة الخاصة بنصائح الملوك أو الآداب السلطانية التي اهتم بها اهتمامًا خاصّا الباحث رضوان السيد، وارتبطت أعمال الباحث المذكور أعلاه بنشر هذه التصانيف على مطابع دار الطليعة ببيروت، وكان من بين الأعمال التي نزلت إلى المكتبات الجزائرية في حينها كتاب: "الإشارة إلى أدب الإمارة" للإمام الحضرمي كما يحب أن يسميه إخواننا في موريتانيا، نظرًا لارتباط مدينة آزوكي بالقاضي الحضرمي القيرواني، لهذا قرأ صاحبي ورفيق دربي الأستاذ مسعود كواتي الكتاب، وعلَّم بقلم الرصاص على كل المخطوطات والأعلام الواردة في مقدمة المحقق وقدمه لي ليكون بداية مشروع فوقع الأمر في نفسي موقع المستحسَن، وعملت على إعداد خطة أولية والقيام بدراسة عن الإمام الحضرمي، وبدأت أبحث عن مصادر كتاب الإشارة، وسيرة وآثار الإمام الحضرمي، وقدمت خطة مبدئية إلى أستاذي المغفور له ـ بإذن الله ـ عطاء الله دهينة (رحمة الله عليه) نظرًا لسفر أستاذي الأول الدكتور عبد الحميد حاجيات إلى الخارج، وفي رد فعل أولي من المؤرخ الجزائري دهينة قال: هذه دراسة فلسفية، فأين التاريخ؟ وبعد أخذ ورد، وتقديم الحجج بأن الفلسفة السياسية أو الفكر السياسي يقرأ بالمنهج الوصفي التاريخي. فقبل الإشراف على هذه المذكرة التي أنجزتها في نهاية شهر مايو 1982م بالحي الجامعي (بوراوي عمار بالحراش)، ثم قدمت الدراسة إلى الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع بالجزائر لعلها تجد مكانتها بين منشورات هذه الدار. وفعلا طبعت ولكن بعد سنوات عجاف كان آخرها عام 1989م.

واليوم وبعد ما أصبح الحضرمي القيرواني ـ الذي وصفته بالأديب والمفكر المغمور ـ شخصية فكرية كبيرة فها هي الأبحاث والدراسات تتناول أعماله والتعريف به، ومن بين هذه الدراسات أعمال الباحث المغربي المتميز محمد ضريف، والدكتور عز الدين العلام، والدكتور خليل أحمد خليل، والباحث الموريتاني عبد الودود ولد شيخ ورفيقه الباحث الفرنسي برنارد سيزان Bernard Saison.

وقد قمت بحوصلة أعماله في أطروحتي للدكتوراه التي يقوم الناشر بطبعها تزامنًا مع طباعة النظرية السياسية عند الحضرمي القيرواني الذي يعد بحق من مشاهير أعلام دولة المرابطين في مرحلتها الصحراوية.

ولم أترك القارئ دون إضافة أراها مفيدة، فأدرجت ما توصلت إليه في فصل جديد في الفصل الخامس؛ لأن ما كتبت عن الفكر السياسي في عصر المرابطين يحتاج إلى وقت طويل حتى تستوي الفكرة وتنضج الفصول، وهو ما عالجته في كتابي المخطوط "الفكر السياسي بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين" وهي محاولة وجهد بلغ الآن مرحلة طويلة من الجمع والتحرير، ولم أتمكن إلى اليوم من إتمامه. لهذا رأيت أن أقوم بتضمين هذه الدراسة ما توصلت إليه من عمل مع الفقيه والإمام الحضرمي بعد عقدين من الزمن من تتبع آثاره فيما وصلني من أبحاث وكتب.

جديد هذه الطبعة:

أما جديد هذه الطبعة، فهو تحقيق أثر الإمام الحضرمي الثاني الذي أشارت إليه كتب التراجم. ويتعلق تحديدًا بكتاب العقيدة أو "عقيدة أبي بكر الحضرمي" كما نعَتَها محققُها.

وأول ما ينبه إليه العارف بشخصية الحضرمي أو الإمام الحضرمي تأثيره في أجيال لاحقة من خلال ما عرف عن حضور نصوصه لدى كبار العلماء الذين استشهدوا بها وضمَّنوا آراءه في المسائل العقدية، وهي من صميم المدرسة الأشعرية التي مثلت مرحلة القيروان من خلال شيوخها ورموزها المشهورين[1].

كما أعتقد أن الجديد في هذه الطبعة هو تنقيح ما وقعنا فيه سابقا من أخطاء تقنية، والتذكير بأهم قواعد المُلْك كما كان يدعو إلى التأسيس لها كُتَّابُ مرايا الأمراء ونصائح الملوك.

وقد بينت أن الإمام الحضرمي يجمع بين منصب القضاء ورسالته الدعوية كمرشد للمرابطين بعد استشهاد معلمهم الروحي الأول أبي محمد عبدِ الله بنِ ياسينَ الجزولي.

كما أشرت إلى أن الحضرمي، المفكر والقاضي المسلم، كان يحافظ على الدعوة الجديدة من خلال تدعيم رسوم المُلك وسياسة المملكة بعيدًا عن نصائح الوعاظ، رغم اهتمامه بالموعظة كغيره من الأدباء.

---

(1) عقيدة أبي بكر الحضرمي 489هـ/ 1096م، تحقيق جمال علال البختي، الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء، 2012م.

وكذلك زودنا الكتاب في طبعته الجديدة بنصوص هامة، لعلها تزيد في متانة مثيلاتها التي عالجناها قبل زهاء ثلاثين سنة في هذا العمل الذي يمثل مرحلة حاسمة في مساري العلمي.

المؤلف الأستاذ الدكتور/
محمد الأمين بلغيث
الجزائر المحروسة،
في 20 جمادى الأولى 1435هـ
20 أبريل 2014م.

مقدمة الطبعة الأولى

إذا كان المشرق الإسلامي قد عرف الماوردي (450/ 1058م) وكتاباته في الإدارة ونظام الحكم، فإن الغرب في عهد المرابطين ـ مجال بحثنا ـ قد حفل ـ بطبقة من العلماء والفقهاء، كان لهم باع طويل في ازدهار الحركة الفكرية في المغرب والأندلس، رغم التحامل المغرض على هذه الدولة من طرف المستشرق الهولندي "رينهارت دوزي"، وتبعه في ذلك كل من المستشرق "يوسف أشباخ" و"أرشيبالد لويس".

ومن المفكرين الذين حفلت بهم هذه الدولة القاضي المالكي أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني المعروف "بالحضرمي" الذي أسهم في أحداثها بقدر لا يستهان به، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من أعطى لهذا الرجل حقه ذلك أنها لا تتجاوز في عمومها ذكر بعض جوانب حياته، إلى أن اكتشف مؤخرا أثره المغمور في السياسة ونظام الحكم من طرف باحثين معاصرين وهما "رضوان السيد" و"علي سامي النشار" مع اختلاف واضح في عنونة عملهما فالأول عنون عمله بـ "كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة" والثاني عنونه بـ"كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة" ومن الباحثين اقتنعت بجدية الموضوع واستخلصت الرؤيا المميزة للمرادي في السياسة ونظام الحكم، فكتابه لا يصنف ضمن كتب "فن أخلاق الملوك" أو بتعبير آخر "كتب مرايا الأمراء" بل إن الكتاب من الأعمال السياسية العملية.

مكنتني مطالعتي للموضوع من إبراز أفكار الحضرمي التي تبدو في مجملها "نظرية في السياسة ونظام الحكم"، والتي توضح لنا نظريا على الأقل التنظيم السياسي والإداري في الدولة المرابطية، التي كان الحضرمي فيها بالقرب من الهرم السياسي.

فالحضرمي ينظر لدولة تنقصها عراقة في الحكم وتقاليد في الإدارة، وقد انفرد الحضرمي فيما يبدو بأنه أول من صنف في مثل هذه المواضيع في بلاد المغرب والأندلس.

ومما يزيد في طرافة الموضوع أن لأفكار الحضرمي مكانتها في الكتابات السياسية في المنطقة ومن ذلك وضعت لعملي هذا العنوان التالي:

"النظرية السياسية عند الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس" قسمته إلى أربعة فصول، الفصل الأول "التطور السياسي إلى عصر الحضرمي" بينت فيه الأرضية في الفكر السياسي التي كانت من مصادر الحضرمي.

وأبرزت في الفصل الثاني: "الحضرمي... وعصره" الوضع السياسي والاجتماعي والفكري الذي شكل شخصية الحضرمي قبل أن يدخل في خدمة الدولة، وفي الفصل الثالث "فكرة الحكم والدولة عند الحضرمي" أو النظرية السياسية عند الحضرمي" واستخلصت القواعد الرئيسية لهذه النظرية في الإمارة والوزارة والحجابة والكتابة والجند والحرب والدهاء السياسي.

وفي الفصل الأخير: "آثار الحضرمي في المغرب والأندلس" بيّنت فيه آثار الحضرمي في الكتابات السياسية مستقرءًا النصوص ومقابلتها وتوصلت إلى التعرف على بعض الآثار التي لم تأت صدفة في المصادر السياسية التي عرفتها المنطقة، ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها بعض نتائج هذه الدراسة.

والله ولي التوفيق

الجزائر في 04 شعبان 1402هـ

27 ماي 1982م

التعريف بمصادر البحث

تتحدد أبعاد نجاح الدراسات التاريخية عموما على مدى ما يستطيع الباحث الحصول عليه من مصادر ومراجع تنير له الطريق، ونجاح الباحث في أي ميدان يكمن في مدى فهمه للنصوص وتحليلها.

أثناء إعدادي لهذه الدراسة استعنت بمجموعة من المصادر يطول التعريف بها في هذا المقام نظرا للصفحات المحددة لهذه الدراسة وربما سيأتي اليوم الذي أقوم فيه بدراسة مطولة أعرف فيها بمصادر ومراجع الدولة المرابطية هذه الدولة التي تستحق دراسات جادة.

نذكر من بين المصادر الهامة في هذه الدراسة "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني، وهي موسوعة تاريخية أدبية جمعت أخبار وأشعار عهد ملوك الطوائف بالأندلس وعهد المرابطين، وقد خصص ابن بسام أحد مجلداته للداخلين والغرباء لبلاده الأندلس وهو بحق المصدر الأساسي والوحيد الذي حافظ لنا على أخبار الحضرمي القيرواني وتطلعاته، كما أن الذخيرة هي مصدر ابن بشكوال صاحب الصلة، كما أن ابن بسام هو الوحيد الذي أشار إلى بعد نظر الحضرمي وكيفية دخوله في خدمة دولة المرابطين.

ـ من المصادر الهامة التي عرفتني بمجموعة من المصطلحات والتعاريف، أذكر كتب المارودي وهي من مصادري التي عرفتني بنظام الحكم في الإسلام، وكذلك تمثل تجربة الماوردي كقاض شارك في أحداث الدولة العباسية، وكتب الماوردي التي استفدت منها هي:

"قوانين الوزارة وسياسة الملك" حققه الدكتور "رضوان السيد" المتخصص في دراسة تراث الفكر السياسي في الإسلام، ويطرح الماوردي في هذا الكتاب مهام الوزير في الدولة ويحدد المسؤولية الكبرى التي يضطلع بها، وقد قام المحقق "رضوان السيد" بدراسة جيدة للكتاب وحدد عصر الماوردي وأهم الأحداث التي ساعدته على كتابة هذا الكتاب والتأثير الكبير للعصر الذي عاش فيه.

"الأحكام السلطانية والولايات الدينية" أخذت منه مجموعة من التعاريف والكتاب يحدد مسألة الخلافة وشروطها وصفات الحاكم المسلم ومهامه الدينية والدنيوية.

ومجمل كتب الماوردي تبين مفهوم السلطة في الإسلام وهي من عالم شارك في أحداث الدولة إذ أنه اضطلع بمهمة قاضي القضاة في الدولة العباسية.

أما كتب التراجم فقد استعنت بفهرسة القاضي عياض اليحصبي الذي عرفنا بأحد تلاميذ الحضرمي القيرواني كما عرفتنا" الغنية في عرض شيوخ القاضي عياض ببعض تآليف الحضرمي في الاعتقاد" ويبدو أن ابن بسام هو أحد مصادر "الغنية" كما أن شيخ القاضي عياض القصديري هو الآخر نقل صورة صادقة عن أستاذه "الحضرمي".

أما الصلة لابن بشكوال فهي لا تضيف أية معلومات لترجمة الحضرمي ولا تذكر تآليفه، وقد اكتفى ابن بشكوال بنقل معلومات مقتضبة عن ابن بسام الذي عرف مصدره الأول فيما يخص التعريف بالحضرمي الذي دخل إلى الأندلس وتقلب بين حكام ملوك الطوائف قبل أن يلتحق

بخدمة الدولة المرابطية كمستشار للأمير "أبي بكر بن عمر اللمتوني" ثم أصبح الحضرمي فيما بعد كأنه الزعيم الروحي لدولة المرابطين.

أما عن الدراسات الحديثة فأهمها:

"إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين" وهو الكتاب الذي حاول فيه "حركات" إعطاء صورة واضحة عن التنظيم الإداري لدولة المرابطين غير أن قلة المصادر التي تتعرض لهذه الدولة جعلت الكاتب يتيه في بحر من التخمين والفرضيات في مواضع كثيرة من الدراسة، ورغم ما يوجه للكتاب من نقد إلا أنه يسد ثغرة كبيرة في الدراسات التي تخص دولة المرابطين.

"قيام دولة المرابطين" للدكتور حسن أحمد محمود، من أهم الدراسات الأكاديمية الجادة رغم أنها دراسة من الخمسينات إلا أن العمل المتخصص قد زاد في قيمة الدراسة، ولا نجد فيما نعرف دراسة أكاديمية متخصصة عن دولة المرابطين إلا دراسة "حسن أحمد محمود" ـ رحمة الله عليه ـ وقد استفدت منها في الجانب الفكري والسياسي للدولة المرابطية.

"مفهوم الملك في المغرب" للباحث الموريتاني محمد ولد داداه وهي من الدراسات التي يفتقدها المؤرخ صاحب الفكر الناضج لمعرفة تاريخه وفلسفته، والدراسة على العموم ذات طرح ممتاز وتحليل جيد بين فيه "محمد ولد داداه" من خلال الألقاب الملوكية للدول المتعاقبة في بلاد المغرب الإسلامي مفهوم كل دولة للحكم والملك، وقد نجح الباحث إلى حد بعيد بطريقة واضحة في تحليل مفهوم الحكم عند المرابطين من خلال الألقاب والشعارات التي كانت الدولة المرابطية قد حملتها وتسمى بها

حكامها فوضح الباحث مفهوم "أمير المسلمين" ومفهوم "الجهاد" وكذلك أبعاد اعتراف يوسف بن تاشفين بالخلافة العباسية في بغداد وغيرها من الشعارات التي اتخذتها الدولة المرابطية.

ـ رابح عجنق، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، وهي رسالة جامعية نال بها صاحبها "دبلوم الدراسات المعمقة بدرجة ممتاز" ولقد ألمت الدراسة في جوانب كثيرة من فصولها خاصة الإدارة المرابطية، وقد استفدنا منها في العصر الخاص بالجند وخاصة الحروب والعمليات الحربية عند أتباع يوسف بن تاشفين.

ـ من الدراسات الهامة في هذا المجال أذكر كتاب الباحث الإنجليزي "هوبكنز" "النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى" ترجمة الأستاذ "أمين توفيق الطيبي" في ورقات لا بأس بها من الدراسة حدد "هوبكنز" بعض خصائص النظام الإداري للمرابطين، وإن غلب الاختصار الشديد على الدراسة التي خصصها للدولة المرابطية قد جعلت تحديد النظام الإداري المرابطي يتطلب دراسة متخصصة جادة.

والله ولي التوفيق

التمهيد

مفهوم النظرية:

جاء في الموسوعة الفلسفية في مفهوم النظرية أنها "نسق من المعرفة المعمقة وتفسير للجوانب المختلفة للواقع وللاصطلاح نظرية[1]، ومعيار صدق النظرية هو الممارسة العملية، والنظر غالبا هو الفكر المجرد في مقابل التطبيق "سواء كان هذا الفكر دينيا أو فلسفيا تجريبيا أو منطقيا"[2]، وتدل النظرية على معنيين؛ إذ هي تدل على قضية أو مجموعة قضايا يراد بها وصف الواقع وتفسيره، والوصف وحده لا يعتبر نظرية ما لم يتبع بتفسير يضمن إلى حدٍّ ما الأبعاد العامة للأهداف المقصودة؛ إذ إن المظهر النظري للسياسة هو بيان مراميها[3].

- "وبالمعنى الضيق لها فهي قائمة على مشاهدات ومنطق عقلي، وبالمعنى الواسع فإنها تشمل أنماطا أخرى من المعرفة... ويظهر الخلاف بين هذين المعنيين في القيم الأخلاقية"[4].

(1) الموسوعة الفلسفية (وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات) بإشراف، م روزنتال وب، بودين، ترجمة سمير كرم، ط3، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 531.

(2) عمار طالبي (النظرية السياسية الإسلامية) صور من الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1980، ص155.

(3) هيوغ أتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، بيروت، دار العلم للملايين 1982م. ط2، ص70.

(4) عمار طالبي، المرجع السابق، ص156.

ولضرورة التسيير المحكم يفترض أن تكون هناك نظريات إذ إن" السير إلى التطبيق مباشرة دون نظرية يؤدي إلى كوارث، فالنظرية الجيدة التي تسبق العمل نتفادى بها هذه الكوارث"[1].

مفهوم السياسة:

جاء في لسان العرب "ساس الأمر سياسة قام به والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، والوالي يسوس رعيته"[2].

والسياسة هي علم بأصول يعرف بها أنواع الرياسات والسياسات المدنية وأحوالها "فهي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل"[3]، وتقترن السياسة بالسلطة والخبرة فهي استصلاح وإرشاد في الأمور الدينية والدنيوية[4]، "فالسياسة جهد من أجل سيادة النظام والعدل والأمن ويتضمن ذلك النفع العام والخير المشترك"[5].

وارتبطت السياسة ارتباطا وثيقا بالأفكار والقيم السياسية للأفراد فإذا كانت السياسة تعبر عن العلاقات بين الطبقات الاجتماعية وبين الدول فإن الأفكار تعكس تلك العلاقات وتتضمن الأفكار وجهات النظر بشأن الصراع والتوجيه[6].

---

(1) عمار طالبي، المرجع السابق ص: 156.

(2) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، المجلد السادس، بيروت، دار صادر، 1956م. ص108.

(3) عبد الهادي نجا الأنباري، سعود الطالع فيما تضمنه الألغاز في اسم حضرة والي مصر من العلوم اللوامع، صححه محمد الصالح، الجزء الثاني، القاهرة 1283هـ، ص205.

(4) أحمد عبد السلام، دراسات في مصطلح السياسة عند العرب، الدار التونسية للتوزيع، 1978، ص13.

(5) عمار طالبي، المرجع السابق، ص157.

(6) كمال المنوفي، (السياسة مفهوم وتطور وعلم) مجلة الفكر العربي، عدد 23، السنة 3، =

وضبط المجتمع البشري الذي يحتاج إلى التجمع بفرض وجود سلطة تجنبه منطق الغاب، وبهذا كانت أبعاد الوجود الإنساني ذات أهمية بمكان من حيث حكم السياسة في الأوضاع الأخرى التي يحيى الفرد في إطارها.

وكان ميلاد السياسة كفكر مع بداية ظهور التجمعات البشرية التي قامت على أسس السلطة السياسية[1]، ويحدد الفلاسفة "النظرية السياسية عموما بأنها نظام من الأفكار حول غايات الحكم"[2]، وهي تمثل طبيعة النظام السياسي الخاص الذي هو موضوع أي بحث[3].

وعلى ضوء هذه المصطلحات ما هي أبعاد "النظرية السياسية الإسلامية"؟

إن أول ما أكد عليه العلماء هو ضرورة السلطة السياسية؛ إذ لا يتم النظام إلا بوجودها وهي وحدة سياسية قائمة على تطبيق منهج الشريعة، ويعبر العلماء عن السلطة في الإسلام بالخلافة أو الإمامة يقول الماوردي (450/ 1058): "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ الأصم"[4].

والولاية من واجبات الدين" بل لا قيام للدين إلا بها"[5]، وأصول الحكم في الإسلام من القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة ثم الاجتهاد، وغاية السياسة

=

بيروت 1981، ص92.

(1) كمال المنوفي، المرجع السابق ص 89.

(2) عمار طالبي، المرجع السابق، ص158.

(3) هيوغ أتكن، المرجع السابق، ص69.

(4) أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العملية، بيروت 1978، ص 5.

(5) تقي الدين بن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط 4، دار الكتاب =

الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، وآداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة[1].

والسيادة في النظرية السياسية للشريعة والأمة"[2] وقيام الحكم العادل في الإسلام على مبدأ الشورى، وعرفت طريقها في الحياة السياسية في صدر الإسلام لتكون بذلك المجتمع المثالي.

والسياسة الإسلامية سياسة أخلاقية قائمة على المصلحة الإنسانية، غير أن النظرية السياسية الحديثة ترى أن لا علاقة بين العمل السياسي والأخلاقي؛ إذ من يريد الحكم يجب أن يلجأ إلى المكر والخداع؛ لأن الصراحة والأمانة تعتبر من عيوب السياسة.

=

العربي، مصر، 1969، ص 161.

(1) ابن تيمية، نفسه، ص5.

(2) إن الحاكم في الإسلام ليس هو صاحب السيادة وليست الأمة وحدها صاحبة السيادة بل إن الأمر يؤكد أن هناك" نظرية العقد" وهي تعاقد بين الأمة والإمام، ويعمل الإمام وفقا للشرع وإذا ما انحرف عنه خلعته الأمة بموجب هذا" العقد السياسي"، وبهذا عرف المسلمون" نظرية السيادة كما عبر عنها روسو في العقد الاجتماعي" وهذا يعبر عن أصالة ودقة الفكر الإسلامي في أبحاثه القانونية وهذا من خلال تجربة الأمة في عصرها الذهبي الراشدي الذي تمثل به أحمد شوقي بقوله:

والدين يسر والخلافة بيعة   والأمر شورى والحقوق قضاء

راجع، ضياء الدين الريس، النظرات السياسة الإسلامية، ط6، دار التراث، القاهرة، 1976، ص213.

الفصل الأول

تطور الفكر السياسي
إلى عصر الحضرمي

أولا: ابن المقفع.

ثانيا: أبو نصر الفارابي.

ثالثا: أبو الحسن الماوردي.

تطور الفكر السياسي إلى عصر الحضرمي

تناولت أقلام الفقهاء والفلاسفة مسألة الخلافة والإمامة بالبحث وأفاضت في التطرق لمهمات رئيس الدولة الإسلامية، غير أنه يلاحظ طغيان النزعة المثالية التي تعتمد فيها النظرية السياسية على دعامات فكرية مجردة غير عابئة بالواقع المتحقق[1].

ويحرص أصحاب النزعة المثالية على تعزيز معاني العدالة والفضيلة والخير الأسمى ولم يفرقوا بين الفكرة السياسية وبين المعنى الحقيقي للأخلاق، وفي نظرهم الابتعاد عن تعزيز المثل العليا في السياسة هو إغفال متعمد واتجاه مقصود نحو العمل بالغرائز الحيوانية الكامنة في الإنسان التي تتجه إلى التدمير[2].

ومن الفلاسفة ودهاة السياسة الذين سبقوا عصر الحضرمي، مجال بحثنا ـ نذكر، ابن المقفع، الفارابي، والماوردي، وهؤلاء يشكلون ـ مبدئيا ـ في مجال الفكر السياسي ـ الخلفية الفكرية التي سيكون لها أثر في فكر الحضرمي السياسي والاجتماعي.

---

(1) محمد فتحي الشنيطي، نماذج من الفلسفة السياسية، دار الجماعة للطباعة القاهرة، 1961م، ص3.

(2) المصدر نفسه، ص4. إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، بيروت، الدوحة، 2014م.ص:28 وما بعدها.

أولا: ابن المقفع (143هـ/ 760م)

ابن المقفع[1] مصلح سياسي واجتماعي وأديب من رجال القرن الثاني الهجري، عرف في أوساط الأدباء والفلاسفة بترجمته لكتاب "كليلة ودمنة"[2] الذي يمثل "جدلية الصراع بين القوى التي تتنازع البقاء كما تتنازع السلطة ذاتها"[3].

إذا كان الأدباء قد عرفوا ابن المقفع الأديب والمترجم فإن أصحاب النظم والإدارة يجهلون إلى حد ما ابن المقفع المصلح السياسي والمفكر الاجتماعي وهو في هذا المجال على حد تعبير الباحث جواتياين[4] "رجل من طراز ومعدن ابن خلدون ونيقولو ميكيافيلله"[5].

---

(1) هو أبو عمر عبد الله روزبة بن المقفع دادويه عمل كاتبًا لداود بن عمر بن الحسن آخر ولاة بني أمية، ثم كتب لعيسى بن علي العباسي عم المنصور وكان صديقا حميما "لعبد الحميد الكاتب" راجع ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني، بيروت دار الثقافة، 1969م، ص151–، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، الجزء الثالث، مصر، دار المعارف، 1977م. ط4، ص92.

(2) من طبقات المترجمين في العصر العباسي الأول راجع دافيد سانتلانا، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، تحقيق وتقديم وتعليق محمد جلال شرف، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م. ص168– 169.

(3) خليل أحمد خليل، رموز الوعي السياسي في كليلة ودمنة، مجلة دراسات عربية، العدد1، السنة الثامنة عشرة، دار الطليعة، بيروت، نوفمبر 1981، ص11.

(4) جواتياين: باحث انجليزي له دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية حقق رسالة الصحابة لابن المقفع وأشار إلى أهمية هذا المفكر وأطلق عليها نقطة تحول في تاريخ الدولة الإسلامية.

(5) س، د، جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة وتعليق، عطية القوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980م، ص57.

وأهم أعمال ابن المقفع في السياسة العملية "رسالة الصحابة"[(1)]، والصحابة هنا هم حاشية الخليفة، فإذا كان ابن المقفع في أعماله الأخرى مترجما أو ناقلا فإنه في رسالة الصحابة ناقدا لنظام الحكم" ويفضح بشكل سافر العلل التي يشكو منه النظام الجديد[(2)] على عهد المنصور العباسي[(3)] وهي بحق تمثل برنامجا إصلاحيا وسياسيا وإداريا متكاملا[(4)].

هذا البرنامج الإصلاحي شمل الجند والقضاء والنظام المالي، والحياة الاجتماعية، وعلاقة الأمير بأقاليم الدولة ثم السلطة السياسية وقمته الخليفة وصحابته وحينما شاهد قلة انضباط الجند قال في برنامجه: "فلو أن أمير المؤمنين كتب أمانا معروفًا بليغًا وجيزًا محيطًا بكل شيء يجب أن يعملوا به أو يكفوا عنه بالغًا في الحجة قاصرًا عن الغلو يحفظه رؤساؤهم حتى يقودوا به دهماءهم ويتعهدوا به منهم من دونهم عرض الناس لكان ذلك إن شاء الله لرأيهم صلاحًا... "[(5)].

(1) يسميها بول كروس، رسالة في السياسة راجع: عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت، دار القلم، 1980م، ط4، ص102.

(2) دومنيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة حسني زينة، الجزء الأول، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1980، ص184.

(3) المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله عباس المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، راجع عنه، السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الساعة بمصر 1952، ص259، 271.

(4) من أغرب البرامج الإسلامية المتكاملة في شؤون الحكم التي جاءت بعد ابن المقفع رسالة طاهر بن الحسين، ابن خلدون، المقدمة، ص358 وما بعدها. راجع متن الرسالة. محمد الأمين بلغيث، ملاحق المدخل إلى السياسة الشرعية. الطبعة الجديدة.

(5) محمد كرد علي، رسائل البلغاء "رسالة ابن المقفع في الصحابة" ط3، مطبعة لجنة =

وهو هنا يدعو إلى وضع قانون داخلي للجند يكون بمثابة الميثاق والعهد الذي يسير عليه الجند في أخلاقهم وعلاقاتهم بالرعية ودورهم في الدولة، وجعل حجر الزاوية لرسالته السياسية "الاعتقاد الصحيح"، إذ لم تكن هناك في دولة العباسيين أية رابطة بين الخليفة وجنده إلا رابطة العقيدة الدينية[1]، فيقول في هذا: " دون ذلك تعهد أدبهم في تعلم الكتاب والتفقه في السنة والأمانة والعصمة والمباينة لأهل الأهواء، يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب المترفين"[2]، إذ تنبه ابن المقفع إلى خطورة الجند إذا ما ساروا على أيدي قواد يدينون باعتقادات فاسدة فهم "أداة شديدة الخطورة في يد حكامها"[3]، وقد أخذ فيما بعد برأي ابن المقفع كل من الساسانيين، والمماليك[4] والعثمانيين بصدد تربية الجند الخلقية" وشكلت التربية الدينية جزءًا هامًا في إعداد قواتهم العسكرية خاصة"[1].

=

التأليف والنشر، القاهرة، 1946، ص120.

(1) جواتياين، ص64.

(2) محمود كرد علي، ص123... 10.

(3) جواتياين، ص65.

(*) قامت هذه الدولة بخراسان وطبقت النظام السياسي والإداري للساسانيين في حكمهم، ومن أهم أنظمتها الإدارية: ديوان الوزير صاحب الشرطة أو طرخانا، ديوان الرسائل، إلخ، وكانت حدودهم إلى غزنة ولم تنزل بأيديهم حتى غلب عليهم سبكتكين وقطع ابنه محمود الخطبة للساسانية واعترف بالخلافة العباسية في بغداد، راجع القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الجزء الأول، عالم الكتب، بيروت، 1980، ص330. نورالدين آل علي، (الفارابي موطنه وثقافته) مجلة البحث العلمي السنة 13 العدد26، المغرب، ديسمبر 1976، ص196.

(4) "إن النظام العسكري المملوكي بني أساسا على التربية المتقنة في الطباع الهادفة إلى تطوير العلوم الاجتماعية والدينية للملوك وإتقانه فنون الفروسية حتى إذا اعتنق =

كما يفترض إصلاح الجند عدم توليتهم أمور الخراج وأهم بنود إصلاح الجند ما يلي:

1 ـ أن يراعي الكفاية في القيادة وأن لا يوليهم على أمور الخراج لأن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة[2].

2 ـ أن يتعهد الجند بالتثقيف ثقافة عملية وخلقية.

3 ـ أن يحدد لهم وقتا يقبضون فيه ما يحقق لهم من رزق.

4 ـ أن يكون دائم التحري لأحوالهم والتقصي لأخبارهم[3].

وفي القضاء عاين الفوضى في الأحكام وتناقض الآراء حتى في القضية الواحدة والبلدة الواحدة، فنصح بضبط القضاء، وحتى لا يترك هذا الموضوع دون حل لإصلاحه، حث الخليفة على التمسك بالتشريع بقوة وإيجاد قانون يقومه خلفاؤه تقويما صحيحا"وفي هذا المجال يجب على الخليفة أن يتقيد بالشريعة وحدها ولا يطاع إلا بقدر تقيده هذا ومجال

=

المملوك تظل تلك العلوم تعمل في نفسه طيلة حياته وتغدو رادعا عن اختراق المعاصي ودافعا للولاء والتضحية في سبيل من يخدم"، أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1980، ص76– 77.

(1) جواتياين، ص67.

(2) محمد كرد علي، ص122.

(3) جورج غريب، عبد الله ابن المقفع (سلسلة الموسوعة في الأدب العربي) دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، ص60.

التنظيم من جهة أخرى حيث يجب على الخليفة أن يستند إلى رأيه الشخصي حيث ينبغي أن تكون طاعة الرعية غير مشروطة"[1].

وفي مسألة الخراج يتهم ابن المقفع جُباة الضرائب بالظلم والاستبداد والقسوة الأمر الذي نتج عنه ترك الأراضي بورا ووقع الغُرْمُ على الفلاحين الغيورين على أراضيهم فرأى من مصلحة استقرار الوضع المالي للدولة أن يحدد الخليفة قيمة ما يدفعه الفلاح من ضريبة على كل قطعة أرض حتى لا يسلب الجُباة ظلما ثمرة عملهم كله[2] وتدور أغلب آثار ابن المقفع على محور العلاقة بين الراعي والرعية وهو شديد الحرص على التصريح ما للرعية على الراعي من حقوق[3].

وأهم ما عالجت الرسالة قمة الهرم السياسي والإداري في الدولة الإسلامية وهو الخليفة وصحابته وبجرأة المصلح الواعي برسالته، يتعجب فيقول على لسان الضمير الجماعي: "ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهي إلى أدب ذى نباهة ولا حسب معروف... مشهور بالفجور في أهل عصره... فانتهى إلى حين أحب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من المهاجرين والأنصار... ويجري عليه الرزق ضعف ما يجري على كثير من بني هاشم"[4].

---

[1] دومنيك وجانين سورديل، ص184.

[2] جواتياين، ص75.

[3] رئيف خوري، "من ضحايا الفكر في تاريخ الأدب العربي مصرع ابن المقفع" مجلة الطريق، العدد الخامس والسادس، بيروت، ماي، جوان1947، ص11.

[4] محمد كرد علي، ص130، وعن طرح قضية الصراع في عهد المنصور ووضع الدولة راجع: مونتغمرى وات، الفكر السياسي الإسلامي" المفاهيم الأساسية"، ترجمة: صبحي حديدي، ط1، دار الحداثة، بيروت 1982، ص177.

فبطانة الخليفة زينته وبهاؤه عند عامته وخاصته ولا تصلح الرعية إلا بهم ولا تستقر الدولة إلا بهم وعلى أيديهم، والرأي عند ابن المقفع أن يكون لهؤلاء ـ مع الصلاح ورجاحة العقل والدين ـ عمل لا يتعداه إلى سواه فعمل الكاتب غير عمل الحاجب، وتلك فوضى ليست من مصلحة دولة فتية محاطة بالأعداء[1].

ولما كان المنصور لا يثق في أحد فلم يعر رسالة الصحابة أي اهتمام، "أما المهدي"[2]، فكان على العكس منه فيما يبدو فاطلع عليها بدقة وعناية وقام في الواقع بتنفيذ بعض ما جاء فيها من توصيات... وبناء على هذا عين المهدي مراقبا في كل مصلحة حكومية ثم عين مراقبًا عامًّا على رأسهم جميعا[3].

ورغم هذا لم يتمثل الخلفاء لهذا البعد الإصلاحي وعهد إلى الجند بجمع خراج الأرض بالإضافة إلى القيادة العسكرية مع سيطرتهم على الأرض فكان هذا الإجراء بداية الإقطاع العسكري الذي عرف بشكل عام في مجتمع الشرق خاصة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي[4].

---

(1) عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1965، ص 100.

(2) عرف المهدي باضطهاده للزنادقة وتعود أن يقول: "إنه لم ير مطلقا كتاب زندقة إلا ويرجع إلى ابن المقفع" راجع: عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص40.

عن المهدي راجع، السيوطي، ص271- 279، القلقشندي، الجزء الأول، ص183-189.

(3) محمد عبد الحي محمد شعبان، الدولة العباسية والفاطمية، دار الأهلية للنشر، بيروت، 1981، ص38.

(4) جواتياين، ص68.

ومما يؤخذ على ابن المقفع اتجاهه الأرستقراطي وهو بلا شك نابع من ثقافته الفارسية كما أنه من شأن بعض آرائه في قضايا الحكم والإصلاح تعزيز النزعة الاستبدادية عند الحكام[1].

وفي الأخير نقول: إن ابن المقفع مصلح صرعه الظلم وصدر حكم التاريخ أن ابن المقفع "زنديق"[2]، ترديدًا لما قاله المهدي في وصف هذا المفكر.

ثانيا: أبو نصر الفارابي (332هـ. 950م)[3]:

عبر الفارابي عن أفكاره السياسية في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" وأبرز فيها مبدأ التوازن ووحدة الجسد السياسي، وهذا الإدراك جاء نتيجة لما عاينه الفارابي في المجتمع الإسلامي من فساد في السياسة والاجتماع والاقتصاد ورسم في كتابه السعادة التي ينشدها كل إنسان في هذه الحياة. وهذه الدراسة هي زبدة العلم والحكمة التي تعلمها خلال تجربته الطويلة في الحياة، من ثم تتجلى قيمة هذا الكتاب في علم السياسة" الذي يطلب لمنفعته وليس لذاته، أما منفعته فهي

---

(1) دومنيك وجانين، سورديل، ص185.

(2) الزندقة بوجه عام: هي الزيغ عن الدين واعتبر البحاثة أن أخطر أبوابها كليلة ودمنة باب برزوية الذي ينتقد فيه ابن المقفع الأديان عن هذه المسألة راجع: ناجي التكريتي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1979، ص265، عبد الرحمن بدوي، تاريخ الإلحاد، ص40- 58، مرتضى العسكري (الزندقة والزنادقة في التاريخ الإسلامي) مجلة رسالة الإسلام، العدد1، 2، السنة2، العراق، محرم، 1967، ص25.

(3) أبو نصر محمد الفارابي من مواليد عام 259هـ في بلدة فاراب وهي مدينة تركية فيما وراء النهر ووالده فارسي النسب وكان محبا للأسفار لا يستقر في بلد حتى يرحل عنه إلى غيره. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثالث، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص223.

معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة ـ أي: أنظمة الحكم العادلة ـ والتوصل بها إلى الوسائل المؤدية لاستبقائها ومكافحة أسباب زوالها"[1].

ـ وشمل الكتاب على صغر حجمه مجموعة لأهم المسائل الفلسفية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية[2]، ومن أهم السمات الحضارية التي عبر عنها "أن السياسة هي جزء من الدين والقانون الديني قانون شامل، فالسياسة هي مسرح للدين ما دامت الحياة في الأرض قائمة على أساس أن قانون الدولة هو الشريعة والدولة أو الخلافة تعتبر وحدة زمنية وروحية"[3]، فأول ما يلفت النظر في التفكير السياسي عند الفارابي[4] هو ربطه بين قطبين لا يلتقيان على صعيد الممارسة السياسية إلا نادرًا وهما الأخلاق والسياسة.

ـ وشغلت المسألة السياسية الفارابي سنوات طويلة خلال حياته الفكرية[5]، وعلى إثر ذلك فقد تحددت لديه الغاية من النظام السياسي والعلوم السياسية وهي تحقيق السعادة والكمال، والسعادة هي حالة السمو

---

(1) هادي العلوي، في السياسة الإسلامية الفكر والممارسة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1974، ص145.

(2) أبو نصر الفارابي، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق وتقديم ألبير نصري، دار المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959، ص8.

(3) محمد نعمان جلال، (الفكر السياسي عند الفارابي) مجلة قضايا عربية، السنة الثانية، العدد الثاني، بيروت، 1975، ص135، 136.

(4) يرى روزنطال "بتقسيماته للمدن اتبع تقسيم أفلاطون وهو بذلك قد أدخل الفلسفة السياسية الإغريقية في الإسلام، راجع: أ- ح، روزناطال، (آراء ابن رشد السياسية) مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الأول، المغرب مايو 1962، ص100، وعن تقسيمات المدن عند الفارابي انظر: سعيد زايد، الفارابي" سلسلة نوابغ الكفر العربي" ط3، دار المعارف بمصر1980، ص56- 57.

(5) رضوان السيد، (ابن سيناء المفكر السياسي والاجتماعي) مجلة الفكر العربي، عدد 22، بيروت، 1981، ص331.

النفسي، فالأفعال الجميلة هي التي تصدر عنها الفضائل والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور، التي تصدر عن النقائص والرذائل[1].

وتمتاز الظاهرة السياسية عند الفارابي بأنها "طبيعة والتجمع البشري الخضوع للسلطة طبيعي"[2]، وطبيعة طاعة المسلمين للخليفة تتوقف على مدى تنفيذه للقانون الإلهي وعلى الأقل من الناحية النظرية فالطاعة عنده طاعة مشروطة [3].

وقد حاول الفارابي تحديد الدولة المثالية والشروط التي يجب توفرها في رئيسها وتناول مختلف المجتمعات أو المدن ـ الممكن قيامها بحسب القيم التي تسعى إليها[4].

بنى الفارابي مدينته الفاضلة على فكرة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه إذ إنه لا يستطيع أن يعيش في عزلة تامة عن الآخرين، ومجتمع الفارابي يتعاون أفراده فيما بينهم تعاونا طبيعيا يضمن لهم الانسجام والسعادة[5].

---

(1) محمد نعمان جلال، ص137.

(2) نفسه، ص143.

(3) قارن عن قضية الطاعة والخروج عن الإمام وإعلان الثورة الدراسات الحديثة بتحفظ، محمد عمارة، الإسلام والثورة، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص18- 27، هادي العلوي، ص117- 127.

(4) وليد فستق، السياسة في الفلسفة الإسلامية ـ الفكر السياسي عند الفارابي ـ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد14، 15، بيروت، 1981، ص110.

(5) "الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وأهل المدن حصلت لهم بها السعاة الدنيا في الحياة الأولى والسعادة القصوى في الحياة الأخرى أربعة أجناس، "الفضائل الفطرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية"الفارابي، كتاب تحصيل السعادة، تحقيق وتعليق جعفر آل ياسين، ط1، دار الأندلس، بيروت 1981، ص49، انظر: نظرية السعادة عبد السلام بن عبد العال، =

وشبه الفارابي المدينة الفاضلة بالبدن الصحيح الذي تتعاون جميع أعضائه على تحقيق حياة سليمة صحيحة وأول الأعضاء وأهمها في الجسم هو القلب فهو مصدر الحياة... وهو المتحكم في الأعضاء الأخرى(1).

لهذا آمن الفارابي بأن لا صلاح للمدينة إلا إذا تولى أمرها رئيس متكامل الشروط؛ إذ لا يجوز أن يتولى رئاسة المدينة إلا رجل بلغ مرتبة رفيعة من الكمال(2)، "وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفارابي لم يكن حالما ولا غاويا عندما رسم معالم المدينة الفاضلة ودعا إليها"(3) إذ أنّه قبل أن يضع هذا الكتاب على صغر حجمه بقي أكثر من سبع سنوات يتدبر أمره ويتأمل أحوال الدولة الإسلامية فجاءت كتاباته في السياسة ونظام الحكم دعوة إلى إصلاح المجتمع وتقويم أخلاق الناس(4).

=

الفلسفة السياسية عند الفارابي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص103– 110.

(1) الفارابي، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، ص97.

(2) صفات رئيس المدينة الفاضلة" سلامة وتمام الأعضاء، جودة الفهم والتصوير جودة الحفظ والفطنة، حسن العبارة، الحب للعلم، عدم الشراهة في المأكل والمشرب والمنكح: تجنب اللعب، حب الصدق وأهله، بغض الكذب وأهله، حب العدل وبغض الجور والظلم وأهلهما، سلامة القيادة إذا ما دعي للعدل، قوة العزيمة، الخسارة وعدم الخوف"، راجع: شرح هذه الصفات محمد عابد الجابري، نحن والتراث "مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص107 – 110.

(3) محمد الديباجي، عرض وتحليل لأراء المدينة الفاضلة للفارابي مجلة البحث العلمي، السنة 13، العدد 26 المغرب 1976، ص205.

(4) قارن غاية الدولة ونظام الحكم عند الطرطوشي، ظافر القاسمي (فكرة الدولة عند لطرطوشي)، المجلة العربية، السنة3، العدد2، المملكة العربية السعودية، 1979، ص81– 84.

والفارابي من أقدم رواد الفكر السياسي في الإسلام واشتهر في الشرق والغرب بصاحب المدينة الفاضلة[1].

وباختصار "نجد أن الخط العام للتفكير السياسي لدى الفارابي يقوم على الربط العضوي بين الأخلاق والسياسة في سبيل هدف واحد، وهو سعادة الفرد والجماعة وبالتالي سعادة الدولة"[2].

ثالثا: أبو الحسن الماوردي 450هـ/1058م[3]

أدرك أهل الدراية بتاريخ النظريات السياسية بوجه عام "أن هناك صلة وثيقة بين نشوء الأفكار السياسية وتطور الأحداث التاريخية"[4].

---

(1) ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك الممالك في تدبير الممالك، ط2، دار الأندلس، بيروت 1980، ص54، دومنيك وجانين سورديل، ص176.

(2) وليد فستق، ص118، عبد السلام عبد العالي، ص54.

(3) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي كان جليل القدر متقدما عند العلماء دينا تقيا كثير المجاهدة لنفسه أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين شارك في العمل السياسي والقضائي له نظرات في السياسة ونظام الحكم له تصانيف كثيرة، انظر: ترجمته وتصانيفه في مجال الفكر السياسي.
خير الدين الزركلي، الإعلام"قاموس تراجم"، مج4، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص327، الماوردي، التحفة الملوكية في الآداب السياسية، تحقيق: فؤاد عبد المنعم مؤسسة الجامعة الإسكندرية، 1977، ص24– 32، الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة: رضوان السيد، ط1، درا الطليعة، بيروت، سيرة الإمام الماوردي ومؤلفاته وعصره مجلة الأزهر، القاهرة، جانفي 1977، ص80– 89، أبو بكر بن هداية الله الحسيني، طبقات الشافعية، تحقيق عادل نويهض، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977، ص151، 152.

(4) ضياء الدين الرئيس، ص23.

وحتى تدرك أبعاد نظرية الماوردي السياسية ـ علينا أن نعرف أنه كان يعاصر عهد تقلص نفوذ الخليفة العباسي وبروز عهد تطاول الأقوياء ـ وعبثهم بالأمن، وكان استيلاء الأسرة البويهية على الحكم ثم الفصل بين السلطتين الزمنية والروحية يمثل مقدمات الضعف والسقوط"، وقد حاول الفقهاء أن يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية لأمير (المتغلب) و(النظرية للخليفة)[1] وعلى إثرها ظهرت نظرية الماوردي تبعا للروح الواقعية نفسها التي فرضها الواقع التاريخي والسياسي للخلافة. فأوجد حلولا لعهد الضعف فأقر شرعية المتغلب إذا كانت أفعاله "جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز إقرار الإمام على إمامته تنفيذا لها وإمضاء لأحكامها لئلا يقف من الأمور الدينية ما يعود بفساد على الأمة، وإن كانت أفعالهم خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل" لزم الخليفة أن يستنصر من يقبض يد المستولى عليه ويزل تغلبه"[2].

وعلى إثرها سميت إمارة المتغلب بإمارة الاستيلاء[3] ولم يفكر الماوردي لحظة واحدة في فصل الدين عن الدنيا بحيث يقوم بالمهام السياسية أمير مستقل ويتمتع الخليفة بسلطان ديني عام، وأن هذا التلاحم

(1) عبد الله فياض، (الخلافة العباسية في عهد البويهيين)، مجلة رسالة الإسلام، عدد1، 2، السنة الثانية، العراق، محرم 1387– 1967، ص27.

(2) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس، محمد يوسف نجم محمود زايد، ط3، دار العلم للملايين، 1979، ص210.

(3) يعترف هاملتون جب بنزاهة الماوردي إزاء نظريته في "إمارة الاستيلاء" وهي حينما يفرض حاكم ولاية حكمه بالقوة بدلا أن يقلده الخليفة وينزعه إن شاء من يده... وبما أن الاستعادة الكامنة للإمبراطورية العباسية القديمة كان بوضوح حلما مستحيلا وجد الماوردي أن من المهم لغرضه أن ينظم العلاقات الحاضرة والمستقبلية بين الخلافة والحكام الآخرين"هاملتون جب، ص217.

الذي لا ينفصِم بين الدين والدنيا في حراسة الدين وسياسة الدنيا هو المفتاح لفهم نظريات الماوردي السياسية[1]، وتتحدد هذه النظرية في "الأحكام السلطانية" إذ حدد في هذا الكتاب سلطان الخلافة وحدودها ونظرية المناصب والولايات والجهاد والحدود وأمور الدولة المالية والقضاء وقضايا الأرض، ونظراته عملية دقيقة في عرض الحقيقة التاريخية مع كونها بالغة الروعة تحليلا وواقعية[2].

تتأكد واقعية الماوردي حينما اعترف بالواقع المتحقق وهذا بتسلط البويهيين على نظرية الخلافة السنية فظهرت في مؤلفاته السياسية والإدارية "إمارة الاستيلاء" مما لا يدع مجالا للشك في أن الماوردي راعى النظرية كما راعى الواقع في منظومته السياسية"[3].

إذا كانت الكتابات السابقة للماوردي انحصرت في أفق ضيق من حيث الاهتمام بتعليمات حول مجالسة الملوك وكيفية منادمتهم ووصف أخلاقهم فإن معالجات الماوردي كانت أشمل إذ تناولت الوجوه المختلفة لنشاط رجل السياسة[4].

بحث الماوردي قواعد الملك[5] وقسمها إلى قسمين عريضين، تأسيس وسياسة[1]، فالتأسيس يتناول فيه أسباب الدول، وعوامل بقائها،

---

[1] الماوردي، قوانين الوزارة (مقدمة المحقق)، ص20.

[2] البارون كارادوفو، مفكرو الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، ط1، الدار المتحدة للنشر، القاهرة، 1979، ص255.

[3] مونتغمري وات، ص140، الماوردي، قوانين الوزارة، ص7.

[4] هادي العلوي، ص160.

[5] الملك من مصطلحات الفكر السياسي يقصد بها الدولة أو الخليفة واستعملها الفارابي والجاحظ ويحيى بن عدي، وعبد الله بن المقفع وابن أبي الربيع وأبو =

وقد حصر أسباب التأسيس في ثلاثة وهي: الدين، القوة، والمال، وعنده أن الدولة التي تقوم على الدين أقوى وأكثر دواما[2] وأما القوة فتظهر بها الدولة حينما تتعرض للانحلال فينفذ إليها الطامعون وحصن هذه الدولة الجند الكثير وصاحب الشجاعة والقيادة المسموعة [3].

- وتعتمد سياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره على أربعة قواعد أساسية هي: عمارة البلدان، وحراسة الرعية، وتدبير الجند، وتقدير الأموال، فصلاح الرعية يكون بعدم التعرض لهم في أموالهم وأعراضهم، وأن يحميهم ممن يريد إفسادهم أو يحول دون حرياتهم، ثم يكون عونا لهم على أمور دينهم وأمور دنياهم، فإذا صح حملهم على هذا التأديب واستقامت الرعية كانوا أصلح جند لأسعد ملك.

=

الحسن الماوردي وغيرهم، "ويفرق العلماء والمؤرخون بين الحكم الملكي المطلق الذي يحمل الكافة على الطاعة وتكون شوكة العصبة أقوى ويحمل الناس على ما ليس في طوقهم من أغراضه الشهوانية وبين الخلافة التي هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا" عن هذه المسألة راجع: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق يوسف أسعد داغر، ط2، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص339، ناجي عباس صالح، (أصول الفلسفة الخلقية والسياسية في كتاب سلوك المالك (لابن أبي الربيع)، مجلة المورد، مج3، العدد4، العراق1976، ص65، ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية، ص75، أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب أحمد إدريس، ط1، دار القلم، الكويت، 1978، ص19.

(1) أبو الحسن الماوردي، في سياسة الملك"نصوص سياسية من كتابه تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك"، تحقيق رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، العدد23، السنة3، بيروت، 1981، ص1981، ص221– 222.

(2) قارن هذا عند ابن خلدون، المقدمة، ص337.

(3) المصدر نفسه، ص221.

أما تدبير الجند فإنه يرى أن صلاح الجند يعود إلى قوة الملك وسياسته الحازمة في التأديب وإعطائهم حقوقهم من كفاية في الأموال، وزيادة في التهذيب، والتربية الخلقية والحربية(1).

ومن أهم ما تضمن فكر المارودي عمارة البلدان والظلم وعواقبه، ففي العمارة يحدد الماوردي شروطاً ستة لعمارة الأمصار هي: المياه العذبة، وتوفر مصادر الميرة، وصلاحية البيئة، والقرب من المراعي، وغابات الاحتطاب، وتحصين الموقع من الأعداء، ووجود أرياف تحيط بها تمدها بالغذاء(2).

هذا عن موقع المدينة أما عن تأسيسها فيراعي بناء المساجد والأسواق وتسوير المدينة وتوزيع السكان على مجمعات متجانسة وأن ينقل إليها أهل العلم والصناعات. والأمصار عند الماوردي نوعان: مصر مزارع وسواد، ومصر فرضة وتجارة وهو يفضل المدينة الزراعية التي يشترط أن تبنى وسط المنطقة الزراعية حتى تتساوى الطرق الموصلة إليها من جميع الأطراف(3).

ـ أما الظلم وعواقبه فيقرر أن مبادئ الظلم تكون حينما يتغلب الهوى على الملك، والهوى مؤداه غلبة الشهوات فيضعف العقل، ومن عواقب هذا الضعف وتحكم الشهوات والهوى في الملك كثرة الإجرام وتراكم الآثام(4)، وزوال المكيال، وهذا باستهانة السلطان بالدين وطمس معالمه،

---

(1) تأثير عجيب من قبل الماوردي في فلسفة مؤلف سلوك المالك، حيث يحدِّدُ نفس الشروط في تمصير الأمصار قارن بذلك ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية، ص76.

(2) الماوردي، سياسة الملك، ص219، هادي العلوي، ص164.

(3) الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1981، ص26، 27.

(4) الماوردي، سياسة الملك، ص217.

فإذا طرأ على الدين من هذه الأمور ونهض من يطلب الملك وينصر الدين ويدفع تبديل المبتدعين أذعنت النفوس لطاعته[1].

وعن العلاقات الخارجية "أوجب فيه أن يحل الملك خلافاته مع الملوك الآخرين بالطرق الدبلوماسية واستعمال المكيدة"[2]، وفي ذلك تقوية لجهاز التجسس، لما له من سلطان في داخل الدولة وخارجها.

---

(1) هادي العلوي، ص179.

(2) منذ أقدم العصور وتاريخ الحرب يصاحب تاريخ الإنسانية وكان قواد الجيوش في كل حقبة من حقب التاريخ يعتمدون لإحراز النصر على الجاسوسية أكثر من اعتمادهم على القوة الحربية، وحتى تتقوى المملكة يجب معرفة أحوال الممالك الأخرى التي تتربص بها الدوائر، عن هذا قارن. جمال الدين الشيال، دراسات في التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص73.

الفصل الثاني

الحضرمي وعصره

أولا: عصره

1 ـ البيئة السياسية والاجتماعية.

2 ـ البيئة الفكرية.

ثانيا: حياة الحضرمي وشخصيته.

1 ـ نسبه ومولده.

2 ـ تعليمه وشيوخه.

3 ـ مؤلفاته ورحلاته.

الحضرمي وعصره

أولا: عصره:

1) ـ البيئة السياسية والاجتماعية:

ولد الإمام الحضرمي بالقيروان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، أيام المعز بن باديس رابع أمراء بني زيري[1]، عمال الخلافة الفاطمية على بلاد إفريقية والمغرب.

وبمجيء المعز بن باديس بدأ عهد الاستقلال العملي عن الخلافة الفاطمية، رغم المدة الطويلة التي قضاها على ولائه للفاطميين، ومنذ رحيل الفاطميين إلى مصر وحُكَّام الأسرة الزيرية يحسون أنهم أصحاب

(1) عهد المعز لدين الله الفاطمي لبلكين بن زيري بن مناد بولاية إفريقية والمغرب عام 362هـ/ 973م، نظرا لما لأسلافه صنهاجة من ولاء وتشيع للدولة الفاطمية وهذا حينما انتقلت الخلافة الفاطمية إلى القاهرة فصار أول مؤسس الأسرة الزيرية التي دام حكمها من (362هـ إلى 555هـ/ 973– 1160م)، وحينما ثار حماد بن بلكين على أخيه باديس وقع انشقاق في صنهاجة وتأسست إمارة بني حماد في القلعة وبجاية ودخل أبناء العم في صراع رغم الخطر المشترك الهلالي والنورماندي حتى دخلت الإمارة الحمادية والزيرية تحت ممتلكات خلافة عبد المؤمن بن علي الموحدي "الذي أصبح ملكه ينبسط على المغرب كله من أقصى ولاية طرابلس إلى المحيط الأطلسي وجزيرة الأندلس" للتوسع أكثر: راجع: عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، مج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص317– 323. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، ط2، مكتبة المنار، تونس 1972، ص453. محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع (دراسة في التاريخ السياسي) ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1977، ص 82– 90.

حق في المغرب وما ولاؤهم إلا عملية دهاء سياسي عسكري وانتصار بهم كقوة على أعدائهم من زناتة"[1].

وكانت بين المعز وزنانة حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها على حد تعبير شيخ المؤرخين ابن خلدون[2].

وعرف عصر الإمام الحضرمي من الناحية المذهبية، أكبر انتصار في تاريخ المغرب الإسلامي بوجه عام وهو انتصار المذهب المالكي حتى سيطر على المستوى الشعبي سيطرة تامة ثم أصبح" في نظر المغاربة مذهبا وعقيدة وطنية"[3].

ـ وهذا رغم ما بذله الفاطميون طوال حكمهم للمغرب في نشر مذهبهم بكل الوسائل؛ إذ بالإضافة إلى الإرهاب الفكري والسياسي"[4] فإن "رجال المذهب (الشيعي) اعتمدوا في كسب ولاء الناس، وفي اصطناع الرجال والزحف على بقية المذاهب على العاطفة والمال والجاه"[5].

إن الانتصار للنفس من العوامل الدافعة لتحقيق الذات لذا كان تمسك أهل المغرب بمذهب مالك يعبر عن هذه النزعة الاستقلالية" ولقد وقف المالكيون في وجه بني عبيد بكل الطرق التي أتيحت لهم"[6].

---

(1) عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط1، دار الشروق، بيروت 1980، ص160.

(2) ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، ص325.

(3) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص90.

(4) محمد الشاذلي النيفر، المازري الفقيه والمتكلم، وكتابه والمعلم، منشورات اللجنة الثقافية الجهوية بالمنستير، بدون تاريخ، ص12– 13.

(5) موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص151.

(6) عبد الحليم عويس، صورة العالم الإسلامي في النصف الأخير من القرن الخامس =

وكان الحكام المسلمون قد رأوا أن توحيد المذاهب في بلادهم من شأنه أن يسهل عليهم سياستهم وبهذا كونت المذاهب الوحدة الدينية والفكرية في مطلع القرن الخامس الهجري فكان لبني أمية في قرطبة خلافة سنية على مذهب الإمام مالك وهم بذلك قد استقلوا سياسيا ومذهبيا عن الفاطميين والعباسيين، ولبني عبيد خلافة شيعية على المذهب الإسماعيلي في القاهرة ولبني العباس خلافة مبنية على المذهب الحنفي، وبهذا الإجراء الذي يغلب عليه الطابع السياسي كان العامل المتين في رسوخ المذاهب في العالم الإسلامي"[1].

فالمذهب المالكي الذي كان عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي[2] قد حقق على المستوى العقائدي في المغرب والأندلس نوعا من الوحدة لم تتوفر لبلدان المشرق المعاصرة التي كان الصراع فيها بين السنة والروافض[3].

وأهم ما يميز هذا العصر الزحف الهلالي على المغرب المدار من الخلافة الفاطمية بمصر لتأديب المعز بن باديس الذي خلع طاعة الخلافة السياسية والمذهبية وحتى يتخلص الخليفة من الأعراب الهلاليين الذين تسببوا في تهديد أمن الصعيد، شجعهم على الدخول إلى إفريقية، وجاء هذا الإجراء من دهاء وزيره اليازورى[4]، الذي تهكم منه واحتقره المعز في مراسلاته[1].

= الهجري، مجلة دعوة الحق، العدد الثاني والثالث، السنة السابعة عشرة، المغرب، 1975، ص92.

(1) سعد غراب، المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، 1978، ص245- 247.

(2) نفسه، ص245 ومابعدها.

(3) عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ص257.

(4) عرفت مصر على عهد وزارة اليازوري الاستقرار وقضى على المجاعة التي تعرضت =

فاكتسح الهلاليون المزارع والقرى والمدن "وبالغ كل المؤلفين من ذكر عواقب هجوم بني هلال التخريبية على اقتصاد إفريقية"[(2)].

وعلى إثر تخريب القيروان غادر الحضرمي افريقية إلى الأندلس ثم المغرب الأقصى، فدخل في خدمة المرابطين من ذلك الوقت بالذات حينما بدأوا في تشييد إمبراطوريتهم، التي كانت بالنسبة للمرادي وللألوف غيره الملاذ والمعتصم من هجمات الأعراب الهلاليين[(3)].

إذا كان الزحف الهلالي قد أدى مهمته، وهي القضاء على دولة بني زيري التي تحولت إلى فسيفساء من الإمارات إلا أن أهم ما لاحظه الدارسون أن هذه الهجرة العنيفة عربت الشمال الإفريقي للأبد[(4)].

كما انتشرت عادات الأعراب الريفية وعادات مختلفة القبائل العربية من دريد ورياح وسليم، ونشأ الأدب العامي المركب وعرفت إفريقية

=

لها مصر وبموته عادت الفوضى التي يتسبب فيها الجند الأتراك، راجع: ابن الصّيْرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص مكتبة المثنى بغداد، 1925، ص68- 73، علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963، ص125.

(1) محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر 1970، ص191.

(2) محمد ولد داداه، مفهوم الملك، ص90.

(3) المرادي، الإشارة إلى أدب الإمارة دراسة وتحقيق رضوان السيد، ط1، دار الطبعة، بيروت، 1981، ص14 (مقدمة المحقق).

(4) عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، ط2، دار المعرفة، القاهرة 1968، ص 82. عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر، 1971، ص238. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص145.

والمغرب بشكل خاص الملاحم الهلالية كالجازية وتغريبة بني هلال وملحمة خليفة الزناتي[1].

أما المجتمع في القيروان وإفريقية فقد عرف على عهد المعز الرخاء إذ يقول ابن خلدون: "استمر ملك المعز بإفريقية والقيروان وكان أضخم ملك عرف للبربر في إفريقية وأترفه وأبذخه"[2].

كما عرف المجتمع هزات عنيفة كالهجومات الفاشلة لقبيلة زناتة[3] على إفريقية كما عرفت مجاعة وبلاء الطاعون في حركة المجتمع لفترة معينة[4].

2) ـ البيئة الفكرية:

يعتبر بحق عهد المعز بن باديس العصر الذهبي لدولة بني زيري في إفريقية، إذ كانت الفترة ما بين تقلده للحكم وهجوم بني هلال على إفريقية تشكل أزهى فترات الدولة فبلغت المملكة أوج قوتها في عهده[5]، فازدهرت "سوق الآداب وظهرت عندئذ حركة فكرية لم تر إفريقية مثلها قبل ولا بعد، وإذا علمت أن الأمراء والكبراء كانوا يقبلون على المعارف ويبذلون النفس

---

(1) عثمان الكعاك، التقاليد والعادات التونسية، ط3، الدار التونسية للنشر، 1981، ص100.
(2) ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، ص324.
(3) كانت غزوات زناتة فاشلة عام 427هـ، 428هـ، حيث انتصر فيها المعز للتوسع، راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق ج، س، كولان، وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص274، 275.
(4) علي أومليل، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص163.
(5) محمد ولد داداة، مفهوم الملك، ص84.

والنفيس في اقتنائها... زيادة على إنشائهم القصور البهيجة والمنازه الجميلة"[1].

ومن علماء هذا العصر: عتيق السوسي (450هـ/ 1058م)، عالم بالفقه والحديث والنحو[2].

ومن مشاهير فقهاء المالكية في عهد المعز ـ أبو عمران الفاسي 430هـ/ 1040م، وفي حلقاته العلمية ظهرت تطلعات الزعيم الجدالي يحيى بن إبراهيم نحو الإصلاح فطلب من الفقيه الفاسي أن ينتدب له أحد تلاميذه ليصحبه معه إلى قومه فنصحه بالتوجه إلى فقيه السوق الأقصى وتلميذه وجاج بن زللو اللمطي لاعتقاده بأنه أعرف منه لمن يصلح للقيام بمهمة صعبة في بلاد الملثمين[3] ومن هنا يظهر دور الفقيه الفاسي في الحركة الفكرية التي استفادت منها دولة المرابطين[4].

ـ من الأسماء البارزة في بلاط المعز المؤرخ الكبير أبو القاسم إبراهيم بن القاسم المعروف بابن الرقيق القيرواني والكاتب النديم الذي ترأس ديوان الرسائل مدة ثلث القرن وتردد على القاهرة في عدة سفارات[5] بين دولة بني زيري صاحبة العصبية التي حصلت على ترضية كافية عندما

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر 1968، ص110.

(2) Chadly Bouyahia, la vie litteraire en ifriqya sous les Zirides (S D) Tunis, 1972, p171.

(3) علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1972، ص122، 123.

(4) Abdemadjid Doui, "l'ifriqya à l'époque Ziride"Histoire deTunisie le Moyen âge (S T D) 1972. P300.

(5) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، القسم الثاني، ص219– 220.

استخلفت على شؤون المغرب[1]، على حساب عصبية كتامة[2]، وزعيمها جعفر بن فلاح[3].

وقد شارك ابن الرقيق مؤلفات كثيرة منها "كتاب الأغاني" المفقود و"قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور"[4]، و"تاريخ افريقية والمغرب" وينعته ابن خلدون بمؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان[5]، "وكانت (حاشية المعز) تجمع أكثر من ستين شاعرا على مختلف نحلهم وأذواقهم، ومن حسن الحظ أن دامت دولته نحو نصف قرن ازدهرت فيها البلاد ازدهارا لم يعرف له نظير في تاريخها"[6].

- ولمع في بلاط المعز الشاعر ابن رشيق المسيلي 456هـ/ 1068م الذي عاش بالقيروان حتى خربتها الهلالية فانتقل إلى صقلية "وكان من أشهر

(1) موسى لقبال، المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة، الأصالة، العدد 229- 30، الجزائر، جانفي فيفري 1976، ص41.

(2) كتامة من بطون البرانس، كانت مواطنها حسب ما جاء في العبر تبدأ من أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من القبلة، وقد خلدهم التاريخ بظهور زعامتهم حينما قامت دولة الفاطميين، وقد رحلت كتامة إلى المشرق وكانت لهم أخبار في فتح الشام وغيرها، وعن فضلها وأخبارها، راجع: القاضي النعمان بن محمد، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرين، المطبعة الرسمية، تونس، 1978، ص203. ابن خلدون، العبر الجزء السادس، ص301- 303. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (ش و ن ت) الجزائر، 1979، ص128- 129.

(3) جعفر بن فلاح الكتامي من الرعيل الأول الذي قامت على أكتافهم الدعوة الإسماعيلية في المغرب وكان الغموض يسود دوره المغربي إلا أن جعفر ظهر في أحداث المشرق، عن هذا القائد، راجع: موسى لقبال، كتامة، ص486- 491.

(4) خير الدين الزركلي، ج/ ص57.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص3.

(6) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات القسم الثاني، ص222.

شعراء عصره وأدبائهم، تفوق في النقد خاصة وألف فيه كتبا كثيرة من أهمها" العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" و"نموذج الزمان في شعراء القيروان"[1].

كما عرف وحفل هذا العصر بصلحاء زهاد من بينهم سيدي محرز بن خلف الذي كان يجله المعز بن باديس[2].

ـ في هذا الجو السياسي والاجتماعي والفكري الذي كانت فيه القيروان خلال القرن الخامس الهجري عاصمة الثقافة والفكر في المغرب الإسلامي نشأ الفقيه المالكي أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني الحضرمي مجال بحثنا من خلال فهمه لأصول نشأة الدولة ومجالات كثيرة في الدولة ونظام الحكم والإدارة.

ثانيا: حياة الإمام الحضرمي وشخصيته:

1 ـ نسبه ومولده:

محمد بن الحسن الحضرمي يكنى أبا بكر ويعرف بالحضرمي وينتسب إلى حضرموت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وهي التي أعطتنا الضوء لمعرفة أصول نسبته العربية إلى قبيلة مراد التي كانت تستوطن حضرموت منذ العصر الجاهلي[3].

---

(1) بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص25.

(2) Abul. Tahir. Farisi, Manaqib, de Muhriz, B. Halaf, Edition critique par Hadi, Roger Idris 5 (P U F) Tunis 1956, p147.

(3) قبيلة مراد من القبائل اليمنية العربية كانت لها أيام في الجاهلية، وأرض مراد بين سد =

ولو كان من موالي مراد العربية الأصل لما أضاف إلى اسمه النسبة إلى أرض منبت قبيلته "حضرموت" حينما استقر بالمغرب الإسلامي[1].

يقول عنه (صاحب الصلة): "دخل قرطبة في سنة سبع وثمانين وأربعمائة رجل من القرويين اسمه محمد بن الحسن الحضرمي يكنَّى أبا بكر ويشتهر بالحضرمي"[2].

وعلى ضوء هذه الشهادة تبين لنا ما ذهبنا إليه أن الحضرمي قد ولد في القيروان "بل إن كونه من القيروان ظل معروفا لدى الأندلسيين أجيالا بعد وفاته"[3].

ولا ندري بالضبط متى نزحت قبيلة مراد اليمنية إلى منطقة إفريقية وهل لها خطة كخطة الفهريين بالقيروان حينما استقرت بأرض إفريقية ثم كيف انتقلت بعض فروعها من مراد إلى الأندلس، جاء في الكتاب الخامس من كتب المملكة القرطبية كتاب نيل المراد في حلي كرة مراد وهي على حد تعبير ابن سعيد المغربي أنها بغربي قرطبة الحالي ومنها حصن مراد سكنته قبيلة مراد فنسب إليها[4].

=

مأرب وأرض قنتان كانت لها وقائع مع القبائل اليمنية أثناء الغزو الحبشي لليمن سنة 525م للتوسع راجع وفي مواضع كثيرة جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، 1980، ص597.

(1) المرادي، أدب الإمارة، مقدمة المحقق (رضوان)، ص10.

(2) ابن بشكوال، كتاب الصلة، القسم الثاني، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص605.

(3) المرادي، أدب الإمارة مقدمة المحقق (رضوان السيد) ص10.

(4) ابن سعيد المغربي، المغرب في حل المغرب، تحقيق شوقي ضيف، الجزء الأول، ط =

وهذه الإشارة تؤكد ما ذهبنا إليه من انتقال مراد أو فرع منها إلى بلاد الأندلس مع العلم أن" هناك حقيقة تاريخية ثابتة أن العرب الذين دخلوا الأندلس على طوالع ثلاث"[1]، طالعة موسى بن نصير عام 93هـ/ 711م، وطالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي عام 97هـ/ 715م، ومعظم هاتين الطالعتين من القبائل اليمنية، وهي التي نرجح أن يكون بينها فرع مراد الذي سكن بكورة مراد غربي قرطبة حسب شهادة ابن سعيد ثم طالعة بلج بن بشر عام 124هـ/ 741م[2].

فذكر ابن سعيد أن من علماء حصن مراد عبد الملك بن سعيد الحضرمي الخازن وهو "رئيس وأديب شاعر كثير الشعر موصوف بالفضل"[3].

2 ـ تعليمه وشيوخه:

إن المصادر المالكية تسكت عن ذكر الحضرمي وهو الفقيه المالكي رغم شهرته في المغرب الإسلامي كقاض في دولة عظمى كدولة المرابطين إلا أن ما ذهب إليه محقق كتابه"الإشارة إلى أدب الإمارة" الدكتور (رضوان السيد) يذهب أن شح المصادر المالكية في عدم ذكرها الحضرمي يعود إلى ثقافته الكلامية وفقهاء المالكية لا يحبذون علماء الكلام[4]، فإذا

=

2، دار المعارف، بمصر، 1964، ص 255.

(1) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص 79.

(2) المصدر نفسه هامش ص 79.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص285.

(4) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشرة دوزي، لندن، 1881، ص 123.

كان الحضرمي أصوليا ومتكلما ولم يكن فقيها أو محدثا أو عالما بالقراءات على حد ما ذهب إليه رضوان السيد[1]، كيف تفسر دخول الإمام الحضرمي في سلك القضاء في عهد المرابطين وهي تسمى بحق "دولة الفقهاء" الذين حاربوا علماء الكلام والفلاسفة، وفي إحراق كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين" في كل من مراكش وقرطبة على عهد علي بن يوسف موقفهم العملي من علم الكلام، وفي الإحياء تعرض الغزالي بالنقد لفقهاء السلاطين مع تشبع الكتاب بنزعة كلامية وفلسفية لا يرغب فيها المالكية[2].

أما تعليمه على وجه التقريب فقد كان في مسجد القيروان الذي كان ينافس آنذاك مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة، ولا نعرف شيوخه من القيروان التي نشأ فيها غير أن مصادر ثقافته تبين لنا ولو مبدئيا قراءاته وعمله مع الإشارات القليلة التي جاءت في "الذخيرة" لابن بسام الشنتريني 542هـ/ 1148م[3].

والصلة لابن بشكوال 558هـ/ 1163م وحسب ما جاء في ترجمة أحد الذين أخذوا عنه الرواية هو يوسف بن موسى الكلبي، المتكلم النحوي أبو الحجاج الضرير[4] فإن الإمام الحضرمي أجازه كتاب فقه اللغة للثعالبي وقد أخذه الحضرمي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عمر بن محمد التميمي

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، مقدمة رضوان، ص 13.

(2) عن إحراق الأحياء راجع حسن أحمد محمود، ص 446.

(3) مؤرخ وأديب أندلسي كان لا يكتفي بالأخبار العامة كأبي منصور الثعالبي وغيره من الذين أرخوا للرؤساء والأدب والنقد وأخذ به وعمل به، علي أدهم، بعض مؤرخي الاسلام، مكتبة النهضة، مصر، بدون تاريخ، ص 100.

(4) أبو الفضل القاضي عياض، الغنية" فهرست شيوخ القاضي عياض" دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978، ص 282.

القصديري، إذن فقد درس الحضرمي كتاب اللغة للثعالبي وأجازه للقصديري وهو الشيخ الوحيد الذي تذكره المصادر القليلة التي ترجمت له عرضا"كالغنية للقاضي عياض اليحصبي 544هـ/ 1150م)، ومن الذين سمعوا كتاب فقه اللغة عن الحضرمي أبو العباس الكناني الذي يقول: "حدثني مشافهة بكتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن عمر التميمي القصديري"[(1)]. وعلى الأعم برز الآن أساتذة أجلاء للإمام الحضرمي هم:

أما ابن بسام فيقول: "وكان أبو بكر هذا فقيها فطنا وشاعرا لسنا ممن جمع براعة الفقهاء وبراعة الشعراء النبهاء وتصرف المطبوعين"[(2)] وبهذا النص التاريخي نعلم أن من ثقافة الحضرمي الشعر والفقه وبهذا تعددت مصادر ثقافته.

3 ـ مؤلفاته ورحلاته:

من مؤلفات الإمام الحضرمي التي جاءت عرضا في فهرست شيوخ القاضي عياض، أن للمرادي أرجوزة صغرى في الاعتقاد وأرجوزة كبرى[(3)]، وله في القدر أشعار وأراجيز كثيرة على ما يبدو، بالإضافة إلى كتابه الهام" كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة" ومختصر في علم الكلام جاء في المخطوط المحقق حديثاً أن عنوانه هو:"العقيدة لمحمد بن الحسن" كما حاول محقق هذا الأثر أو المختصر إثبات نسبة المختصر إلى شيخنا

---

(1) ابن بشكوال، ج 2 / ص 605.عقيدة أبي بكر الحضرمي، تحقيق البختي، ص:96 وما بعدها.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، مج 1، تحقيق احسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1979، ص 364.

(3) أبو الفضل القاضي عياض، ص 282– 283.

الإمام محمد بن الحسن الحضرمي رحمه الله، وطبع الكتاب في حدود 2012م بعناية الأستاذ جمال علال البختي.

لئن توفرت إشارات عديدة في كتابه" أدب الإمارة" إلى مصادره المشرقية التي يبدو قد زارها وهو في عز شبابه فالإمام الحضرمي من الشباب الذين كانت لهم مطامح ورحلات في المغرب والأندلس والمشرق، وأدب الرحلة هذا من مصادر ثقافة المغاربة والأندلسيين الذين يشدون الرحال طلبا للعمرة والحج، ثم مجالسة الفضلاء والصلحاء واقتناء الكتب النفيسة من الحجاز وأرض مصر الغنية بالصلحاء والعلماء[1]"وذلك ما يبعث الحنين في نفوس الأندلسيين والمغاربة إلى ارتياد البلد الحرام واكتراع المعرفة من المنابع الفياضة مع اعتبار ما كان يشعر به، حيث كانت لهم مطامح ورحلات في المغرب والأندلس والمشرق، وأدب الرحلة هذا من روابط الدين واللغة... وهي روابط بقيت حتى بعد أن تبددت الوحدة السياسية"[2].

وقد كان العلماء والرحالة يسجلون رحلاتهم كما كانوا يقومون بتسجيل فهارس شيوخهم ورواياتهم في برامج مفيدة واشتهر بها المغاربة والأندلسيون ولا نعرف إذا كان للمرادي رحلة وبرنامج[3]، شيوخ أم لا، ولا بد أن الأيام ستكشف عن مخطوطات ووثائق جديدة عن هذا الفقيه.

---

(1) حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، بمصر 1980، ص 18.

(2) أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 65.

(3) "لقد كان العلماء المسلمون ينوهون بميزة هذه الأمة المتمثلة في سلاسل الإسناد العلمي" ولهذا عرف ميدان التأليف طريقة مهمة وهي تسجيل الروايات في فهارس وبرامج هامة تحفظ لنا أهم الكتب التي كانت تدرس، راجع: محمد المجاري الأندلسي، برنامج

ـ وتولى الإمام الحضرمي القضاء في أَزُكِي[1]، وقد كان من المقربين إلى الحكام المرابطين الذين ألف لهم كتابا في سياسة الدولة ونظام الحكم وتوفي حسب بعض المصادر سنة 489هـ/ 1096م، وهو في آزكى وله ابن كان يسكن بغرناطة اسمه علي بن محمد بن الحسن[2]. وضريحه بمدينة آزوكي التي أصبحت من أشهر المزارات بالأدرار الموريتاني إلى اليوم، وينتسب إلى الإمام الحضرمي كثير من الحضارمة بموريتانيا الشقيقة.

ـ وتكمن شخصية الإمام الحضرمي في آرائه حول الدولة ونظام الحكم وهذا ما سنفصله في الفصل القادم.

ـ كما سنعرف مصادره خلال تحليل وجهة نظره في الحكم والرياسة.

ـ يقول علي سامي النشار ـ رحمة الله عليه ـ لم يختف اسم الحضرمي من التاريخ بل سرعان ما ظهر عالم من أكبر علماء غرناطة من ذريته، يذكر صاحب الديباج: أحمد بن حسين بن عمر الحضرمي الحضرمي،

=

المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 57- 69.

(1) أَزُكِي: مدينة بالمغرب وهي أول مراقي الصحراء ومنها إلى سلجماسة ثلاث عشرة مرحلة ومنها إلى "نول" لمطة سبع مراحل وليست بالكبيرة ولكنها متحضرة... ولا بد من الدخول على هذه المدينة لمن أراد تكرور وغانة من بلاد السودان راجع: محمد عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق ودراسة إحسان عباس، مكتبة، لبنان، 1975، ص 28.

(2) علي بن محمد بن الحسن الحضرمي أبو الحسن المعروف بابن المرادي سكن غرناطة وأصله من القيروان روي عن أبي علي الصدفي وعن أبي بكر وابن محمد بن أبي جعفر وغيرهما سمع منه أبو خالد ابن رفاعة وأبو القاسم بن سمحون وسواهما. ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مطبعة مجريط، 1885، ص283-284.

الغرناطي، أبو المجد من ذرية الإمام أبي بكر الحضرمي الأصولي، وقد روى أحمد بن حسن الحضرمي عن أبيه وأبي عبد الله بن عياض وغيرهما، ويقرر صاحب الديباج أنه كان فقيهًا حافظًا ذاكرًا للنوازل، بصيرًا بالفتوى متقدمًا في علم الكلام وأصول الفقه، وأنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد ولد بغرناطة سنة 451هـ/ 1059م وتوفي بها سنة 575هـ/ 1183م. وهل هو الابن الوحيد للإمام الحضرمي، وهل هو نفس الشخصية التي تحدث عنها صاحب الديباج، وهل هي نفسها التي ترجم لها ابن الأبار القضاعي في المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي[1]؟

---

[1] المرادي، كتاب السياسة، تحقيق: علي سامي النشار، المرجع السابق، ص: 30.

الفصل الثالث

فكرة الحكم والدولة عند الإمام الحضرمي "النظرية السياسية"

فكرة الحكم والدولة عند الإمام الحضرمي

ـ حتى نضع الإمام الحضرمي في الإطار الحضاري الذي عاش فيه فترة حياته الثانية بعد انتقاله من القيروان إلى المغرب الأقصى، تدعونا الموضوعية التاريخية إلى إلقاء نظرة قصيرة على دولة المرابطين.

ـ كان أهل المغرب في مطلع القرن الخامس الهجري حينما بدأت دولة المرابطين "يتولون أمور بلادهم وأمراؤهم يتولون الإمارة بينهم إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه كما فعل ملوك طوائف الأندلس"[1].

ـ ودولة المرابطين بدأت في أول أمرها باتحاد عصبية قبائل صنهاجة الجنوب المتمثلة في "لمتونة جدالة، ومسوفة".

وأقيم أول حلف بين القبائل لمدافعة "ملك غانة في الجنوب والسيطرة على مسالك تجارة السودان إلى المغرب"[2] وعرف هذا الحلف متانته حينما تحولت تلك القبائل البدوية إلى شعب صاحب رسالة حضارية بتأسيس الدولة المرابطية، وكان ظهور عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين[3] وسط هذه القبائل كداعية ومصلح اجتماعي وديني وسياسي قد غيّر جغرافية بلاد المغرب الإسلامي بعد فترة وجيزة وهذا بإرشاد مجتمع الملثمين إلى العقائد الصحيحة[4]، بالأمر بالمعروف والنهي عن

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط 2، درا الثقافة، بيروت، 1980، ص 10.

(2) حسن أحمد محمود، ص 102.

(3) علي ابن أبي زرع، ص 124.

(4) موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 48.

المنكر الذي"هو أصل سياسي من أخطر أصول الإسلام السياسية إن معناه في بساطة هو محاولة إصلاح الإدارة الحكومية الفاسدة بكل رجالها فإن أبت فينبغي الخروج عليها وتغييرها"[1].

- وكان[2] رباط حوض السنغال الذي التجأ إليه المصلح بعد إعراض القوم فيه أطهر الملثمين وأشدهم حرصا وصبرا على مبادئ الدعوة الجديدة[3].

ـ ومن ميزات مفهوم الدولة ونشر الرسالة الإسلامية عند المرابطين "الجهاد"[4] ضد الانحراف الديني" وفي حركة سريعة تكونت إمبراطورية ضمت الأندلس والمغرب الأقصى ونصف من المغرب الأوسط إلى "جزائر بني مزغنة"، بينما في الجهة الشرقية من المغرب عاشت القبائل الهلالية في

---

(1) المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، 1981، ص 24– 25.

(2) الرباط: حصن دفاعي يتجمع فيه من نذروا أنفسهم للدفاع عن دولة الإسلام، وكانت ضرورة الدفاع عن شواطئ المغرب الإسلامي هي التي دعت إلى إقامة هذه المحارس الحربية لصد هجمات الأسطول البيزنطي وهذا قبل تطور البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس.

– وكانت الربط بالنسبة للمغاربة الحصن العظيم للدفاع عن المذهب المالكي ضد الإرهاب الفاطمي وعلى هذا ضمَّت الربط الصلحاء والعلماء وشجع المالكية هذه الحركة في المغرب فنزع الفقهاء إلى العزوف عن مصاحبة السلطان والدعوة إلى التقشف والمرابطة في سبيل الله، للمزيد، راجع: حسن أحمد محمود، ص134– 135، انظر أيضا:

George Marçais, Notes sur les ribats en Berberie, Melanges Réne Basset, édition Ernest leroux, Paris, 1925, PP1- 36.

(3) حسن أحمد محمود، ص143. حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني[مجتمع القوافل 1591/ 1898]ص،143 وما بعدها

(4) في دراسة شيقة وبأطروحات حديثة تحدث الباحث الموريتاني عن أهم المفاهيم عند المرابطين في سياسة الدولة والملك، وعن هذه المسألة الهامة راجع: محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب، ص 111– 141.

ترحال دائم وفشلت في تأسيس دولة، بينما في الجانب الغربي كانت دولة واسعة مزدهرة يسودها الأمن والعدل وعلى عهدها عرف المغرب الأقصى الوحدة ولأول مرة في التاريخ بعد أن كانت تتقاسمه طوائف وشيع[1].

---

(1) انظر:

R. Le Tourneau, l'occident musulman du VII S à la fin du XV S Annales de l'université d'études orientales Faculté des lettres de l'université d'alger T. XVI, Edition le typolithé et jules carbonal Alger1958, PP161- 162.

"الإشارة إلى أدب الإمارة في الميزان":

هذا الكتاب لا يصنف ضمن الجنس الأدبي المسمى "مرايا الأمراء"، أي: المؤلفات التي يسترشد بها أولو الأمر لسياسة الملك والرّعية.

واكتشاف كتاب الإمام الحضرمي قد غير الفرضية التي كان يعتقد فيها بأن"ليس هناك في علم السياسة في الأندلس والمغرب قبل كتابات ابن خلدون وابن رضوان سوى كتاب السياسة[1] لابن حزم"[2]، المفقود.

ولهذا يعتبر الإمام الحضرمي ـ لحد الآن ـ بداية فجر الكتابات السياسية لإصلاح الراعي والرعية وإصلاح نظام الحكم والإدارة في المغرب الإسلامي.

وكل الأعمال السياسية التي عرفها تاريخ الفكر منذ بداية الكتابات الإغريقية إلى عصرنا فإننا نجد أنها تتجه إلى اتخاذ موقف من معضلات طبيعة الإنسان ومصيره ومعضلات أخلاقية فلسفية ودينية[3].

بحيث تبدأ هذه الأعمال بالكلام عن سياسة أو تدبير الرجل من حيث طبائع النفس وكيفية ترويضها وحملها على الشدائد والتغلب على شهوات النفس، وفي هذه المسألة بالذات تطرح قضية من أخطر القضايا في عصرنا وهي ما مدى تأثر النظرية السياسية الإسلامية بالتراث الإغريقي؟

---

(1) مجمد إبراهيم الكتاني، (بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم، مجلة تطوان، العدد5، المغرب، 1960، ص 95- 107.

(2) الحضرمي، كتاب السياسة تحقيق سامي النشار، ص 31.

(3) جان جاك شفالييه، المؤلفات السياسية الكبرى من ميكيافيلي إلى أيامنا ترجمة إلياس مرقص، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1980، ص 9.

والذي يلاحظ أنه "بالرغم من أن مفكري الإسلام استمدوا الكثير من فكر اليونان، إلا أنهم درسوه بعقلية إسلامية"[1] وهي الحقيقة التي يسقطها المستشرقون من كتاباتهم ويعدمون أصالة الفكر الإسلامي ويرجعون كل فكر إسلامي إلى أصول إغريقية[2].

ومعضلة الفكر اليوناني تدعونا إلى طرح مسألة مصادر ثقافة الحضرمي من جديد، وبالأحرى ما هي الأصول الإغريقية والفارسية في كتاب السياسة للمرادي؟ الذي نحن بصدد تحديد معالم "نظريته السياسية".

- يقول عنه صاحب الصلة: "كان رجلا نبيها عالما بالفقه وإماما في أصول الدين وله في ذلك تواليف حسان مفيدة"[3].

فهذا النص بين لنا أن صاحبنا صاحب ثقافة كلامية وعلم الكلام ينزع نحو معرفة الفلسفة إذ لا بد لعالم الكلام من الاطلاع على أقوال الفرق الأخرى فلسفية وكلامية[4].

ومهما يكن الحال فقد اتصل الإمام الحضرمي بالفلسفة عن طريق رحلاته إلى المشرق وإلى الأندلس وعلى الأرجح فإنه قد اطلع على تراث كبار فلاسفة الإسلام كالفارابي وغيره، أما عن مصادر السياسة الإغريقية فهو كتاب "سر الأسرار" الذي عرفه الناس باسم "السياسة في تدبير الرياسة المنسوب لأرسطو" حتى يذهب أحد قراء الإمام الحضرمي فرأى تأثره "بسر

---

(1) ناجي التكريتي، الفلسفة الأفلاطونية، 5.

(2) عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ط 3، دار النهضة، بيروت، 1981، ص 108، وعن هذه المسألة راجع: دافيد سانتلانا، هامش ص 26.

(3) ابن بشكوال، القسم الثاني، ص 604.

(4) المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص 35.

الأسرار" فوضع عنوانا لكتاب الإمام الحضرمي سماه "الإشارة إلى أدب الإمارة والسياسة في تدبير الرياسة"[1].

أما عن الكتابات الفارسية فتبدو آثار ابن المقفع واضحة بل يذهب "رضوان السيد" إلى القول أن الحضرمي في كتابه هذا: "عالة على الأدب الكبير وبعبارة أخرى فإنه لا يفعل في كثير من الأحيان غير وضع عناوين وأبواب لفقرات ترد في الأدب الكبير لابن المقفع مضيفا روايات وأحاديث وأمثالا أو قصصا من كليلة ودمنة"[2].

وكذلك عرف الإمام الحضرمي عهد أردشير الفارسي في شؤون الحكم، كما عرف الحضرمي مؤلفات الثعالبي صاحب فقه اللغة والتمثيل والمحاضرة وكذلك مؤلفات مفكر الأشعرية الكبير الباقلاني[3]. وتتحدد نظرية الحضرمي في القواعد الآتية:

1) ـ الإمارة:

– من قواعد النظرية السياسية عند الإمام الحضرمي البحث في أمر السلطة والقيادة وهي أهم القواعد التي عالجها في مختصر "الإشارة إلى أدب الإمارة" أو كما سماه النشار "كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة" ـ

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 25.

(2) المصدر نفسه، ص 21.

(3) عن تطور المذهب الأشعري عند الباقلاني راجع: جلال محمد عبد الحميد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1975، ص 317– 367.

ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، المرجع السابق، ص:115 وما بعدها.

الذي شمل تصورا للسلوك السياسي في مختلف المواقف وتجاه مختلف الفئات[1].

ـ وحتى يقترب الإمام الحضرمي من بيئته السياسية، ابتعد عن إشكالية البحث في مسألة الخلافة والإمامة؛ إذ إن المرابطين اتخذوا لقب"أمير المسلمين" واعترفوا بالخلافة العباسية[2] وظهرت أسماء بعض الخلفاء العباسيين على النقود المرابطية.

وما يقربنا إلى فهم غاية الإمام الحضرمي من تأليفه يذهب "سامي النشار" إلى أنه: "يبدو أن الأمير أبا بكر بن عمر طلب منه كتابته ليكون دستورا له ودستوراً للمرابطين من بعده، وقد رأى الحاجة الماسة له... وأراد أن يعرف أسرار السياسة"[3]، فالإمام الحضرمي في دستوره يقترب من واقعية بيئته السياسية المغربية؛ إذ أصبحت الإشكالية بالنسبة له ما هي إلا توضيح "ضرورة السلطة وعلاقتها بالشريعة فقد كانت السلطة موجودة وعلاقتها بالشريعة واضحة؛ إذ إنها كانت عند المرابطين الاحتفاظ بالملك رغم عدم عراقتهم فيه"[4]. ـ وبالتالي كان دور الإمام الحضرمي في الصحراء إلى جانب الأمير

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 22.

(2) أراد يوسف بن تاشفين أن يجعل ملكه شرعيا فأرسل إلى الخليفة العباسي بعثة كلفت بإبلاغ الخليفة تبعيته للخلافة وسلم العهد إلى البعثة راجع: محمد ولد داداة، مفهوم الملك، ص 113، راجع وثيقة العهد ومرسوم الخلافة بتكليف يوسف لحكم المغرب. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية"دراسة ونصوص" "سلسة وثائق الإسلام" ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص 272-287.

(3) المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص 31.

(4) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 22.

أبي بكر بن عمر وخلفه محمد بن عمر ـ الذي تزعم المصادر أن يوسف بن تاشفين أرسل إليه السم في قلة من عسل ـ[1] لأداء مهمته كداعية لتعليم الناس مبادئ الشريعة وهو يدعو بحرارة رئيس الدولة إلى"معالي الأمور" أي: - الحكم السليم واتخاذ العلماء والحكماء ولم يكتف تأثير الفقهاء في عهد المرابطين بصيغة الإدلاء برأيهم في الربط بين "الدين والسياسة" وإنما شاركوا رسميا في تكوين الجهاز السياسي الذي انطبع في جملته بالطابع الديني[2].

ـ غير أن حجر الزاوية في النظرية السياسية للإمام الحضرمي هي مبدأ "انتهاز الفرص"[3]، الذي يدعو إليه مفكرنا، وحتى وإن كان ينطلق في أساس خطابه في كثير من الأحيان من منطلقات ليست إسلامية تماما ولا تتلاءم والجو الفكري الذي كان سائدا آنذاك، لكن الذي لا يمكن إنكاره هو أن الحضرمي بسبب وعيه بجدية المشكلة التي كان يواجهها المرابطون في بدايات عهدهم بالنسبة للسلطة فاستجاب لمتطلبات الموقف بقدر ما ساعدته ثقافته واقترح مشروعا لنمو السلطة واستمرارها لكبار المرابطين وصغارهم.

---

(1) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية، ص 271.

(2) إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص 122.

(3) قارن الفرق الموجود بين المرادي وابن ظفر الصقلي في "مسألة الصبر والنظام الفرص". عبد الحميد حاجيات، نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك" من خلال كتاب سلوان المطاع"، "بحث على الآلة الراقنة أرسل إلى مجلة أوراق العربية بإسبانيا" ص 3- 13.

2) ـ الكتابة والوزارة:

ـ تحذر الكتب السياسية من البطانة الفاسدة التي لا تعمل إلا من أجل إشباع أنانيتها وهي من أخطر الطبقات على السلطان والحذر في هذا ألزم لقربها من الملك[1]، ويحدد الحضرمي صفات الجلساء والصحابة الذين يحيطون بشخص الأمير ويعتبر سلوكهم وسلوك الأمير من أمور الدولة.

ـ من صفات الكاتب عند الإمام الحضرمي "أن يكون صحيح الأمانة عارفا بوجوه الخيانة بصيرا بالحساب رفيقا بالرعية"[2]، وتختلط وظيفة الوزير والكاتب لأن وظيفة الوزير وظيفة قلمية كذا يختلط على الباحثين تحديد وزراء الدولة المرابطية.

والكاتب بمثابة الوزير وهو مستشار أمير المسلمين وربما أكبر كاتم لأسرار دولته.

حدد الإمام الحضرمي، صفات في الكاتب كالمروءة والوثوق فيه حتى في ساعات العسر، وواضح أن ابتعاد الدولة عن رسوم الملك وتعقد الأمور هو الذي جعل وظيفة الوزير غير ذات أهمية في الهرم الإداري المرابطي.

– ويعتبر الوزير بالكاتب ضمن جلساء الأمير وهم أصحاب الشورى وعون الأمير، ويلاحظ الباحث الانجليزي "هوبكنز" أن الوزارة في عهد المرابطين يسودها الغموض ومع هذا فثمة شخص أو اثنان يدعيان أحيانا بالوزير إلا أنه لا تتوفر عنهما وعن نشاطهما سوى معلومات ضئيلة[3].

---

(1) عهد أردشير، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1967، ص 22.

(2) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 107.

(3) ج، ف، ب، هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980، ص 42.

3) ـ الحجابة:

إن مهمة الحاجب الوساطة بين السلطان ورعاياه الحاجب في الدولة الإسلامية بمثابة الوزير وهو عند الإمام الحضرمي وجه الأمير وعونه، ويشترط في الحاجب خصال أربعة هي: الشدة، السياسة والصدق والطاعة، والحضرمي ببصيرته يرى أن من لا يحسن اختيار كتابه وحجابه وأعوانه فهو لا يحسن التصرف في سلطانه[1].

"ولم يكن لهذه الوظيف وجودٌ في عهد المرابطين؛ لأن دولتهم بنيت في أساسها على بساطة الحكم فلم يكن هناك تعقيد أو إجراءات شديدة فيما يتعلق باتصال أمير المسلمين برعيته"[2].

وعن الحجابة يقول ابن خلدون: "ثم لم يكن في دول المغرب وإفريقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيها"[3].

ـ ولهذا كانت دعوة الإمام الحضرمي إلى حث السلطان في اتخاذ رسوم الملك والأخذ بأسباب الحضارة وهذا يكون بإيجاد إدارة حازمة يسودها ملك عالم عادل.

4)ـ الجند والحرب:

– من قواعد نظرية الإمام الحضرمي الهامة بعد الإمارة قاعدة الجند وفي هذه القاعدة يتبين لنا التبصر بالمستقبل للمرادي، كما يظهر أنه يكتب لأمراء

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 109.
(2) إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي، ص 107.
(3) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 426– 427.

المرابطين فقد اقترح على السلطان المرابطي مثلا "أن لا يعتمد على عصبية واحدة في الجيش حتى لا تنقلب عليه وتتولى السلطة بنفسها"[1].

فيقول: "ويستحب للسلطان أن يكون جنده أجناسا متفرقة وقبائل شتى لا يتهيأ الإتفاق على رأي واحد في الخلاف، وأن يسوس جنده سياسة تخرج شيوخه وقائده عن الإتفاق والصداقة ومن الخلاف والعداوة فإن الأمرين جميعا يعودان عليه بالمضرة"[2].

وهذه استجابة ذكية من الإمام الحضرمي لظروف الجند المرابطي الذي كان يعتمد فيه على قبيلة لمتونه التي استشهد الكثير من رجالها في معارك المغرب والأندلس، وتطوّر الدعوة والدولة تطلب عناصر جديدة لهذا انظم إلى الجند المرابطي المصامدة وغيرهم من القبائل.

أما في الحرب فإن الإمام الحضرمي ينزع إلى تعليل أخلاقي من الطراز الأول إذ أنه يتجنب الحرب والمواجهة بكل حيلة وبكل وسيلة حتى لو أنفق الأمير كل خزائنه من أجل تجنب الحرب، وهو بهذا ينزع نحو إغريقية صرفة والتي ظهرت في عهدهم دولة المدينة وإمارات صغيرة غير أن مفهوم الحضرمي للسياسة وأهدافها والسلطة وهدفها لا يختلف وروح السياسة الإسلامية[3].

والحرب هي آخر وسيلة عند الإمام الحضرمي يلجأ إليها الأمير، ومن دهاء الحضرمي في الناحية الحربية: "واعلم أن الصلح أحد الحروب التي

---

[1] المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 31.

[2] المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص 94.

[3] المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار ص 29.

تدفع بها الأعداء عن المضرة فإذا كثر أعداؤك فصالح بعضهم وأطمع بعضهم في صلحك واستقبل بعضهم بحربك"[1].

ويدعو الحضرمي أثناء الحرب إلى إيجاد سفراء بين السلطان وبين أعدائه يختارون من النبهاء العلماء فإذا دعت دعاوي الحرب فعلى الأمير بث العيون والرقباء وتحصين الحصون والمبالغة في الحراسة.

والحرب خدعة ومسألة الحيلة والصراحة والمكيدة "هي القانون العام للسلوك السياسي عند الحضرمي وكُتَّاب "مرايا الأمراء" أما الفكر السياسي الإسلامي فيسمي الحيلة كذبا ولا يبيحها إلا في ضرورات منها الحرب والإصلاح بين الناس"[2].

ومن حيل الحرب عند الحضرمي استعمال الكتب المزيفة وهذا بإشعار العدو لما يضمره أصحابه من عداوة له، كما يشعره أن بعض ولاته وعماله قد خرجوا على طاعته.

5)ـ الدهاء السياسي وعلاقة الأمير بالرعية:

ـ كتاب الإمام الحضرمي "مليء بالأنظمة الفردية والاجتماعية التي وضعها الحضرمي للجماعة الإسلامية وللفرد المسلم في المغرب بل في العالم الإسلامي كله"[3]، فالحضرمي يكتب ويخاطب أمير الحق أبي بكر بن عمر الذي يعمل الحضرمي في دولته بالصحراء ثم أثناء الحديث يوجه

---

(1) نفسه، ص 218.

(2) نفسه، ص 30.

(3) المصدر نفسه المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص 33.

الكلام والنصح إلى جمهور الناس فيحدثهم عن النفس ومراتبها وعن العقل وفضله عند الحكماء والعلماء وعن الصبر والحلم والشجاعة والجبن والدهاء عند الحضرمي، هو كل مقاربة الناس في عقولهم بأنه السبب في السلامة من شرورهم والتغافل ما أمكن عن عداوة كل عدو ولا يقدر الأمير الانتصار عليه[1].

"والدهاء اسم لوضع الأمور في مواضعها والكف عما لا نفع فيه انتظارا فيه النفع"[2].

---

[1] المصدر نفسه ص 158.

[2] المصدر نفسه، ص 157.

ماذا أخذ المرابطون من فكر الإمام الحضرمي في سياسة الدولة؟

- تبدو معالم نظرية الإمام الحضرمي واضحة في قواعد كثيرة في واقع الدولة المرابطية، وهو يبين قيمة الرجل الذي كان الزعيم الفكري لدولة فتية "المنظر الإيديولوجي" بتعبير عصرنا.

فأول ما لاحظه المؤرخون أن العلماء الفقهاء وحتى الحكماء ـ رغم مبالغة بعض الكتاب في الحطِّ من قيمة هؤلاء هم مجلس الأمير الاستشاري فيقول صاحب المعجب عن علي بن يوسف: "واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء"[1].

كما أن دعوة الإمام الحضرمي في ابتعاد الأمير عن البذخ والترف والجواري هي من سمات أمراء المرابطين إلى أن سقطت دولتهم على يد الموحدين.

وليس بغريب أن نشاهد بعض معالم الإمام الحضرمي ؛ لأن شهادة ابن بسام حتى وإن جاءت بتهكم تبين مدى قيمة الرجل فيقول: "أراد (يقصد الإمام الحضرمي) أن يسلك في حمل دولة المرابطين مسلك عبد الله بن ياسين"[2]، (أراد أن يسلك) معنى ذلك أن الإمام الحضرمي عمل دون شك على أن يكون الزعيم الروحي لهذه الدولة الفتية ولكن أخباره ضائعة بين الكتب والمخطوطات فلا نعلم إلا هذه الإشارة الخفيفة لنص ابن بسام عن تطلعات الرجل وآماله.

---

(1) عبد الواحد المراكشي، ص 122.

(2) ابن بسام، الذخيرة، مج 1، القسم الرابع، ص 364.

"وأروع ما نشاهده مجسما في دولة المرابطين هي مسألة الجند، هل جاءت تغييرات يوسف بن تاشفين وغيره من الأمراء صدفة أم عن حكمة ودراية فالحضرمي[الإمام الحضرمي] هو الذي دعا إلى نظرية اتخاذ عصبيات متعددة في الجند، فالمتتبع لنظام الجند في عهد هذه الدولة يلاحظ في تكوينه أن يوسف بن تاشفين ينفذ تماما ما طلبه الإمام الحضرمي، ويطبق ما خط من نظام لها، واستعداد بالآلات والعدد وتنظيم الجند"[1].

"ولقد عهد المرابطون في تحقيق أهدافهم إلى تكوين جيش قوي، وكانت النواة الأولى القبائل اللثامية، ثم طُعّم بعناصر أخرى عندما توالت فتوحاتهم وتعددت جبهاتهم"[2].

فهذا التطعيم جاء نتيجة لدعوة هذا المفكر والزعيم، ومن العناصر التي أدخلها المرابطون على جندهم اتخاذ وحدات نصرانية في الجيش خاصة على عهد علي بن يوسف، وشكلت هذه الفرقة خطرا متزايداً على ملك المرابطين وقتل قائد الوحدات النصرانية "الروبرتير" وكان أشهر قواد تاشفين بن علي خلال محاربته للموحدين"[3].

---

(1) المرادي، كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص 34.

(2) رابح عجنق، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين (بحث حاز على شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي) مضروب على الآلة الراقنة، قسنطينة، 1981، ص 141.

(3) انظر في المليشية المسيحية:

Le compte de Maslaterie, Relations de l'afrique septentrionnale au Magreb, avec les nations chrétiennes, imprimerie, Librairie de Fuvnin Dudot, Paris, 1886. P. P, 61- 62.

وظاهرة اتخاذ الإفرنج يحدد أسبابها ابن خلدون بقوله: "فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جندا من هذه الأمة المتعودة على الثبات في الزحف وهم الإفرنج"[1]، ولأن قتال المسلمين كان يعتمد على الكر والفر" فإن الروم يثبتون في مواقعهم أو يزحفون في صفوف متواصلة"[2] هذه بعض معالم نظرية الإمام الحضرمي وما أخذ منها المرابطون.

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 485- 486.

[2] هوبكنز، ص 144، للتوسع عن النظام الحربي ونظام الجند راجع: إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي، ص145- 159، محمد ولد داداة، مفهوم الملك، ص 119- 121، ومن أساليب القتال ووحدات الجيش راجع: رابح جعنق، ص 164- 174.

الفصل الرابع

آثار الإمام الحضرمي في المغرب والأندلس

أولا: ابن رضوان الأندلسي.

ثانيا: أبو حمو موسى الزياني.

ثالثا: محمد بن الأزرق الأندلسي.

آثار الإمام الحضرمي في المغرب والأندلس

إن أهمية دراسة الفكر النظري كدعامة من دعامات فهم الأعمال التطبيقية في واقع المجتمع والعلاقات الدولية، والحضرمي كمفكر ومنظر في السياسة وتنظيم الحكومة وإدارتها لا تظهر بوضوح قيمته كمفكر مسلم إلا إذا اتبعنا آثاره في الكتابات السياسية التي عرفها المغرب والأندلس.

وعلى الرغم من أن الدكتور "رضوان السيد" قد ضم إلى الذين نقلوا أو تأثروا بالإمام الحضرمي، الوزير لسان الدين بن الخطيب وهذا في تشابه العناوين حيث أن ابن الخطيب[776 هـ / 1374م] سمى رسالته "كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة"[1]، والإمام الحضرمي أطلق على مختصره في السياسة "كتاب الإشارة في أدب الإمارة"[2]، كما أن هناك تشابه في وظيفة الوزير، إلا أن الذين تأثروا مباشرة بالحضرمي أو عرفوا فكره بطريقة غير مباشرة هم أبو القاسم بن رضوان المالقى الأندلسي، والملك الزياني أبي موسى الثاني، ومحمد بن الأزرق الأندلسي.

[1] لابن الخطيب كتابات في السياسة أهمها (رسالة السياسة) والإشارة إلى أدب الوزارة وقد حقق من طرف وداد القاضي، وكذلك محمد كمال شبانة ولابن الخطيب آراء في السياسة لمن أراد المزيد انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مج 4، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ص 614– 634. وداد القاضي، جوانب من المفكر السياسي للسان الدين ابن الخطيب، مجلة الفكر العربي، عدد 23، السنة 3، بيروت، أكتوبر ونوفمبر 1981، ص 173، 207. راجع نشرة سعيد بن حمادة ورفيقه.

[2] المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 32.

أولا:أبو القسم بن رضوان المالقي الأندلسي782 هـ /1380م:

خدم دولة بني مرين ما لا يقل عن أربعين سنة، وعرف فيها تقلب الدول والسياسة وعلاقاتها بكل ما يتصل بالمكر والخداع.

وابن رضوان[1] يعد بحق ناقل فكر الإمام الحضرمي في السياسة وفي الحروب وأدب الاستقبال إلى الغرب الإسلامي إذ إنه: "استوعب كتاب الحضرمي كله تقريبا وبحروفه غالبا في مؤلفه الضخم السياسي المعروف بالشهب اللامعة في السياسة النافعة"[2].

وهو ما يؤكد لنا وجود نسخة من كتاب مختصر الإمام الحضرمي في السياسة في مكتبة القصر المريني[3].

وهذا موضع تساءل هل قرأ ابن خلدون كتاب الإشارة للإمام الحضرمي ؟ وهل اطلع على كتاب صديقه ابن رضوان "الشهب اللامعة" والذي انتهى من تأليفه عام 1362م، وفي هذه السنة كان ابن خلدون صاحب

---

(1) أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري، كاتب علامة جماعة من ملوك بني مرين. انظر: ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي ومحمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، تطوان 1964، ص 51- 56. اختلف الدارسون حول تاريخ وفاة ابن رضوان المالقي وأكد محقق الشهب د. علي سامي النشار أنها سنة 783هـ/ 1381م. ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق "ماريا خيوس بيغيرا" ش ون ت) الجزائر، 1981، ص 376. يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 15، 16.

(2) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 32.

(3) المرادي، كتاب السياسة، تحقيق رضوان السيد، ص 30.

العلامة عند السلطان المريني أبي سالم[1]، والشهب هو الكتاب الذي حفظ لنا تراث الإمام الحضرمي قبل العثور على المخطوط[2]، و"كتاب الشهب اللامعة لا يمثل نظرة أو فلسفة خاصة لصاحبه في الموضوع وإنما يمثل المادة المأثورة التي تصلح أن تكون معتمدًا سياسيا أو عملا تثقيفيا لمطالعها في الميدان السياسي"[3].

وجمع ابن رضوان في كتابه "طرق التاريخ وسير الخلفاء وسياسة الأقدمين وحكمة الأولين ليكون ذلك عونا على تعلق الأحكام السياسية بالخواطر"[4]، ولقد قام الكتاب" على الجمع لا على النظر والتأليف أو إيجاد نظرية سياسية خاصة بمكانة ابن رضوان حين كلف بتأليف هذا الكتاب عاد إلى المكتبة واختار منها المصادر التي رآها تعينه على تحقيق غايته[5]".

غير أن ما يلاحظ على الشهب أنه يخضع إلى كتاب سراج الملوك للطرطوشي وهو ما لاحظه ابن خلدون على الكتابات السياسية، غير أن ما يجب الاهتمام به هو بروز وبشكل واضح خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري إحساس المغاربة بالحاجة إلى تفسير الأصول السياسية

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979، ص 70– 83.

(2) إحسان عباس، ابن رضوان وكتابه في السياسة، مستلة من كتاب العيد الصادر سنة 1967، تحية للجامعة الأمريكية في بيروت في عيدها المئوي، 1866– 1966، ص 134.

(3) إحسان عباس: ص 136. أبو القاسم بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1984م. ص: 390.

(4) المصدر نفسه، ص 132.

(5) إحسان عباس، المرجع السابق، ص 136، وداد القاضي، النظرية السياسة للسطان أبي حمو الزياني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، الأصالة، العدد27 سبتمبر، أكتوبر، الجزائر، 1975، ص 97.

والنظم الصحيحة والتطلع إلى معرفة واقع الحياة وتقلب الدول وتحديد المبادئ الصالحة، فكتب لسان الدين ابن الخطيب في السياسة وكتب أبو حمو الزياني "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، وعكف ابن خلدون على كتابه المقدمة "كان المغرب صفحة واضحة لديه فأراد أن يستنتج من أحداثه على مر الزمن بنظرة الفاحص المتأمل ما يكون نموذجا في الفهم العميق لطبيعة العمران البشري"[1].

ثانيا: أبو حمو موسى الزياني: (791هـ/1389م)[2]

إن القاعدة الكبرى في نظرية أبي حمو السياسية أنها تقوم "على قاعدة أساسية مؤداها أن الملك ما دام قد وصل إلى المُلْكِ فإن العهد الأسمى من أي سياسة ينتهجها هي توجيه الأشياء حوله إلى حفظ سلامته ودوام

(1) إحسان عباس، ص 143.

(2) من ملوك بني زيان، له مكانة خاصة في تاريخ هذه الدولة تولى دراسة الحكم بعد الاحتلال المريني لتلمسان وتميز عصره بالاضطراب والفتن فكانت نظريته السياسية معبرة عن شخصه وعن دولته وعن هذا الملك العالم والأديب راجع: يحيى بن خلدون: بغية الرواد، الجزء الأول، ص 212، وقد غالى ابن الأحمر في ذم هذا الملك. انظر: ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب منصور، الرباط، 1962، ص51. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 194، ص 69 وما بعدها.

وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو، ص 98.

Pierre Bonte et autres, AL- ANSAB (La quête des Origines) anthropologie historique de la société tribale arabe, Paris, éditions de la maison des sciences de l'homme, 1991. p: 101 et suivantes.

سلطانه"[1]، ولهذا استعان أبو حمو الزياني بكتب السياسة التي توافق هواه وبلا شك فالحضرمي الذي وضع كتابه للمرابطين الذين حكموا إمبراطورية واسعة دون عراقة في السياسة ودهاء لتسيير الدولة وإقامة علاقات دولية على قواعد متينة ـ وكان بالنسبة لأبي حمو نموذجا طيبا للسياسة العملية التي وافقت هواه وقد نقل في مواضع كثيرة كما سنرى ذلك.

ظهرت تجربة أبي حمو السياسية في كتابه" واسطة السلوك في سياسة الملوك" وكان يعيش وسط دائرة سياسية يسودها الصراع العنيف، هذا الصراع اشتركت في إدارته على ساحة المغرب ثلاث قوى سياسية الدولة الحفصية في الشرق والدولة المرينية في الغرب، ودولة بني زيان في الوسط، كما كانت تتدخل دولة بني نصر في غرناطة في أحداث المغرب، كما شاركت القبائل العربية في هذا الصراع بقسط وافر في إضعاف هذه الدولة أو مؤازرتها، وأمام هذا التكتل السياسي وجد أبو حمو نفسه مضطرا لخوض الصراع من أجل الحفاظ على ملك أجداده الذي طمعت فيه الدولة المرينية التي تزعم أنها وارثة الدولة الموحدية.

اجتمعت عوامل كثيرة لتجعل من أبي حمو قطبا من أقطاب الصراع السياسي والعسكري "وقد دفع هذا أبا حمو إلى التفنن في اختراع الوسائل التي تضعف عدوه وتقوي مكانه فبث عيونه في بلاد عدوه لاستطلاع أحواله وطالب من يوالونه إما باليمين الموثق أو بالرهن على ولائهم وحاول أن يختار الطقس المناسب للمعركة في بعض المرات"[2].

---

(1) وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو، ص 88.

(2) وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو، ص 22.

وفي هذا المجال نتساءل ما هي الفائدة التي قدمتها كتب السياسة والدهاء إلى الملك السياسي؟ وما مكانة كتاب صاحبنا الحضرمي من بين كتب السياسة التي عرفها هذا القائد العسكري والملك الفيلسوف والشاعر الفنان والمتدين الكبير؟

إن أهم ما يميز قيمة أي نظرية من النظريات السياسية هي مدى الأثر الواسع الذي يعرفه من واقع المجتمع وفي واقع السلوك السياسي والإداري لدولة من الدول، وفي تتبع آثار فكر الحضرمي السياسي في المغرب والأندلس نسلك طريقة المقابلة والمقارنة بين النصوص، ودون شك فكتاب الحضرمي الذي تداولته الأيدي في الغرب الإسلامي تظهر آثاره الواضحة في معالم أفكار كُتَّاب السياسة ومن خلال سلوك بعض الملوك والأمراء وهو المختصر العلمي والدستور البعيد عن الإطناب الذي وقعت فيه كتب "مرايا الأمراء" وكتب النصائح حتى بعد عصر الحضرمي بقرون كثيرة.

يلاحظ أثر الإمام الحضرمي في واسطة السلوك في الفصل الخاص بالحجب والظهور، فقد نقل بالمعنى[1]، كما يلاحظ التأثير الكبير في مسألة الركوب، والجلوس والصمت والصبر وإن كانت كتب "مرايا الأمراء" تؤكد على هذه الصفات الحميدة التي يجب أن يتّصف بها الأمير ولكن الآثار الواضحة للمرادي التي نقلها أبو حمو بالمعنى ترجح معرفة "كتاب الإشارة" في أدب الإمارة للمرادي ووجوده في بلاط أبي حمو رغم أنه لا يذكره كأحد مصادره.

---

[1] قارن المرادي، أدب الإمارة تحقيق رضوان السيد، ص111، 119 مع الفصل الخاص بالحجب والظهور. موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1279هـ، ص 19 وما بعدها.

ـ في مسألة الحرب رأينا كيف تجنبها الإمام الحضرمي، ويعلل كراهيته لها في تعليل أخلاقي من الطراز الأول، فنجد هذا الاتفاق العجيب في سياسة أبي حمو والذي لم يكن يلجأ عمليا إلى الحرب "وفي كل مواجهته مع العدو بل كان يحاول قدر الإمكان الإبقاء على السلم بينه وبين عدوه وكان يسخر لذلك إرساله وسفراءه ويرسل معهم في بعض الأحيان هدايا قيمة إذا كانت السفارة في عقد الصلح"[1].

أليس هذا الاتفاق الذي تقرأه في فكر الإمام الحضرمي الحربي والدهائي في فصل الحرب والمسالمة والذي ينصح فيه الحضرمي الأمير ببدأ عدوه باللين والمسالمة والبذل ـ هي صورة واضحة طبقها الملك الزياني بحروفها ـ وهو ما كان يلجأ إليه أبو حمو في علاقته بأعدائه وإذا فشل في هذا المسعى السلمي لجأ إلى الخداع والحيلة والدهاء وتسليط القرناء على عدوه وهو ما كان يعمله أبو حمو[2]، وهذا ما كنا رأيناه في الفكر السياسي عند الحضرمي"فالمكيدة هي القانون العام للسلوك السياسي عند الحضرمي وكتاب "مرايا الأمراء"[3].

ـ ومن غريب الاتفاق أن يستشهد أبو حمو في مسألة الجود والإمساك بأبيات لأبي الطيب المتنبي وهي نفس الأبيات الشعرية التي استشهد بها الحضرمي في هذا الباب أيضا"[4].

---

(1) وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو: ص 23– 24.

(2) وداد القاضي، المصدر نفسه، ص 24.

(3) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 30.

(4) نفسه، ص 209، أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص 9.

ويبدو الآن بهذه المقابلة البسيطة أن للإمام الحضرمي مكانته الخاصة عند صاحب واسطة السلوك الذي نقل عنه بالمعنى في أحد عشر موضعا[1].

ثالثا: محمد بن الأزرق الأندلسي: ذي الحجة 896هـ. 1491م

يعتبر ابن الأزرق[2] من علماء الاجتماع السياسي، فهو الذي وصل بالمدرسة الأشعرية في علم الاجتماع السياسي إلى مرحلة النضج؛ إذ مزج بين نظريات ابن خلدون ونظريات أخرى سياسية إسلامية تستند إلى أبعاد أخرى تخالف اتجاه ابن خلدون السياسي وهو علم الأخلاق السياسي الذي لم يأخذ مكانته الواسعة في مقدمة ابن خلدون.

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 31.

(2) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن قاسم بن مسعود بن الأزرق الأندلسي الغرناطي نشأ بمالقة بلد صاحبنا ابن رضوان- في بيت علم ودين وعفة وشرف وهو البيت الذي وجه سلوكه واهتمامه الكبير بالأخلاق والسلوك، تولى وظيفة القضاء بغرناطة ومالقه كما كان يتولى السفارة لملوك بني نصر لبلاد المغرب ومصر، له فتاوى منقولة في المعيار للونشريسي من مؤلفات ابن الأزرق "روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام... "وهو محقق الآن ومطبوع بليبيا الشقيقة، وله تأليف ما يزال ينتظر النور كمخطوط بعنوان" الإبريز المسبوك في كيفية أدب سير الملوك" وتوجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 1375، وله "شفاء الغليل في شرح مختصر خليل" في فقه المالكية. وعن ابن الأزرق راجع الدراسة الهامة لمحمد بن عبد الكريم للكتاب، محمد بن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977، ص 9- 46.

ـ "ورأى ابن الأزرق أن يضع لذا العلم مكانته في علم الاجتماع السياسي وهذا في محاولته التوفيقية بين نظريات ابن خلدون ونظريات ابن رضوان والطرطوشي"[1].

ـ "ويظهر وزن ابن الأزرق أنه أحد" الخبراء بالسياسة العارفين بأحوالها عرف الوزارة والسفارة كما زاول مهنة الخطابة والقضاء فهو لذلك خير من يقدم لنا مثل هذا العطاء وأصدق من يحدثنا عن السياسة والرياسة"[2].

وقد عايش ابن الأزرق الحرب الأهلية التي عرفتها دولة بني نصر في غرناطة منذ عام 1482"[3]، وهذا قبل سقوطها وقد كان ابن الأزرق يستنهض همم حكام المسلمين "ولا حياة لمن تنادي" من أجل الوقوف أمام سقوط جوهرة الأندلس "غرناطة"، ودخل مصر يطلب من الملك الأشرف "قايتباي" إمداده بالجيش والسلاح وقد كان إرسال قوة حربية إلى الأندلس عملية انتحارية للدولة المملوكية التي بدأت تعرف هجومات عنيفة عثمانية منذ عام 1483م[4].

---

(1) محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ج1، وزارة الإعلام العراق، 1977، ص 6.

(2) عبد الهادي التازي، مع ابن الأزرق في مخطوطته، مجلة دعوة الحق، العدد1، السنة 17، المغرب ربيع الثاني، 1397، ماي 1975، ص 158.

(3) عن هذه الحروب الأهلية وأسبابها راجع:

Rachel Arie, L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232- 1492, édition, E. Bocard, Paris, 1973,p: 156- 158.

(4) أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري الخامس الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص 111، انظر أيضا: Archel Arie,Op- cit,P 462.

ـ يستعمل ابن الأزرق نفس الاصطلاحات التي استعملها ابن خلدون في مقدمته، والمتصفح لبدائع السلك يرى طغيان الفكر الخلدوني" بوضوح على مادة ابن الأزرق"[1].

(1) الحسن السائح، نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الأزرق الأصالة، السنة العدد13، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 123.

بين الإمام الحضرمي وابن الأزرق:

يرجح "رضوان السيد" أن نقول ابن الأزرق التي تخص الحضرمي قد تكون عن طريق" الشهب اللامعة" لابن رضوان[1]، وإن كنت أرجح أن يكون ابن الأزرق يملك أو يعرف الكتاب نفسه وهذا للعامل المهم الذي يلاحظ في دقة ابن الأزرق ونقده للآراء والتصريح بمصادره عكس ما يعرف عن ابن خلدون نفسه الذي يخفي مصادره، فابن الأزرق في كثير من الأحيان يأخذ الفكرة عن الطرطوشي، ولكن يقول بروح نقدية وبدراية العالم أن هذه الفكرة لأرسطو مثلا وهو ما جعلني أرجّح أن يكون الكتاب معروفا في الأندلس، ولهذا يشير ابن الأزرق إلى الحضرمي صراحة، ويخفيه أحيانا، كما لا يعقل أن يكون الحضرمي أحد المصادر الهامة لابن رضوان وكتاب الشهب عرف في الأندلس، ولهذا فالبحث عن هذا المختصر الهام في السياسة ليس بالصعب مع حب المسلمين في اقتناء الكتب والمخطوطات.

يعتبر الإمام الحضرمي أحد المصادر الهامة في بدائع السلك لابن الأزرق فيما يخص الحرب والمكيدة، والجلوس والغضب والعفو والعلم والعقل وفي السياسة والدهاء.

ففي مسألة الحرب ينقل ابن الأزرق نص الإمام الحضرمي حرفيا دون ذكر مصدره وهذا بقوله: "وقال بعضهم[2]: إذا ابتليت بالحرب فَأَذْكِ العيون بالنهار...

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 32.

(2) ابن الأزرق، بدائع السلك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ج 1، ص 179.

وأن القتال في غير مكانه عناء" ولا يحرف ابن الأزرق من هذا النص الطويل إن لم يكن من المحقق الذي جاء في أحد عشر سطرًا إلا جملة واحدة وهي "وأجعل الشمس أن تكون معك" وهي عند الحضرمي "واجعل للشمس أن تكون معك"[1].

ـ تظهر آثار الحضرمي في عمليات الخداع والتمويه والمكيدة في الحروب من حيث استعمال الجواسيس وشراء الذمم وضرب السلاطين بعضهم ببعض.

أما في الدهاء، فقد نقل ابن الأزرق تعريف الدهاء، عن الحضرمي مع ذكر مصدره فيقول: "قال الحضرمي: هو اسم لوضع الأمور مواضعها والكف عما لا ينفع انتظارا لما فيه النفع"[2] ويتبع ابن الأزرق النص بالتعليق والشرح فيقول: "لا شك في فضيلة الدهاء بهذا التفسير لدلالته على فضل العقل وذكاء وفطنته"[3].

أما المستشار فهو أحد أركان دولة يسودها النظام والعدل وابن الأزرق يتبع الطرطوشي في مسألة المشاورة"[4] في حكمه وأقواله والتي هي أساس المملكة وقواعد السلطنة إن استناد علماء كبار كتبوا في السياسة ونظام الحكم في المغرب والأندلس على كتاب الحضرمي بينت إثباتا تاما أن كتابه له أهميته البالغة في هذا الشأن.

---

(1) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، ص 221.

(2) ابن الأزرق، بدائع السلك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ج 1، ص478.

(3) المصدر نفسه، ص 479.

(4) عن مسألة الشورى والمشاورة انظر: أبو بكر الطرطوشي، كتاب سراج الملوك، ط 1، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، بمصر، 1935، ص 147- 151.

الفصل الخامس

قواعد الملك والتأسيس الفكري للمشروع المرابطي من خلال المفكرين المرابطين

"خلاصة تجربة مع الإمام الحضرمي"[1*]

ما زالت حقول التاريخ والحضارة الإسلامية تعاني من ندرة دراسات شاملة تستهدف التنسيق بين مختلف العلوم الاجتماعية وبين العلوم الإسلامية التي اصطلح على تسميتها بالفكر الحر ويقصد بها علم الكلام والفلسفة والتصوف والمنطق، أو تحاول وضع أسس نظرية لبناء علوم اجتماعية تمتلك آليات مناسبة لدراسة الحضارة الإسلامية وجوانبها المختلفة.

ويبدو هذا الفراغ واضحا إذا ما نظرنا إلى ما نشر حتى الآن عن التاريخ والحضارة الإسلامية، فلم يتجاوز إلا القليل منها ما يمكن أن نصفه بالعلم الاعتيادي، وبالحاجز الحضاري والمعرفي، ويبدو ذلك خصوصا في دراسات المستشرقين[2].

لقد تجاوز مفكرو القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، قضايا الصراع السياسي بين الفقهاء ورجال الحديث من جهة، وأهل الفكر الاعتزالي في المسائل الكلامية والاعتقادية من جهة أخرى، وبدأت تظهر إلى الوجود في الفضاء الفكري والثقافي بالغرب الإسلامي مسألة الخلافة وشرعية السلطة، وهذا من خلال النماذج المعاصرة للمشروع السياسي والفكري المرابطي الذي اصطلحنا على تسميته وفقا لمبررات سأعالجها في هذا الفصل.

(*) للأمانة هذه التجربة مبثوثة في أطروحتي للدكتوراه، المجلد الثاني. 633

[2] سوي (خير الدين يوجه) تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، (فترة التكوين: من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير، الأردن، 1413هـ/ 1993م. ص: 9.

إذ تبدو ملامح الصورة واضحة عند مفكرين لهما إسهامات في الدفاع عن الاتجاه السني بمنطق جديد، كما يبدو عند الإمامين الحضرمي ومحمد بن العربي المعافري[1].

وعلى الرغم من اختلاف المناهج التي اعتمدها المفكران، إلا أن الهدف واحد، فكلاهما كان يسعى ومن أي مكان كان للدفاع عن شرعية السلطة المرابطية بل والدفاع عن واجبات شرعية وسياسية اتجاه هذه السلطة الجديدة في بلاد الغرب الإسلامي الأول في مرحلة التأسيس والتكوين والثاني في مرحلتي التأسيس والتمكين بل والدفاع عن شرعية السلطة المرابطية في مواجهة البرنامج والثورة الوافدة الموحدية بقيادة المهدي بن تومرت وتلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي.

ولا يمكن التطرق إلى هذه الخصوصيات إلا إذا وضعنا كلا المفكرين موضع المحك والتطبيق، أو التمثيل، لأن الأمة الإسلامية قد عرفت خلال تجربتها الطويلة الانقطاع الكامل عن تراثها وتجربتها التاريخية، ولهذا عاش الفكر السياسي الإسلامي رهين غياب التجارب الإسلامية المتنوعة وانقطاع هذا الفكر في معظم عصوره عن وعائه السليم، الكتاب والسنة وتجارب الأمة المضيئة، وأصبح البحث في النظم الإسلامية لا يزال في مجمله يدور في فلك وقائع التاريخ الإسلامي أي تاريخ المسلمين، والذين يتعاملون مع وقائع هذا التاريخ يتخذون طريقا من اثنين:

[1] طالبي عمار، آراء أبي بكر ببن العربي الكلامية ونقد الفلسفة اليونانية، الجزء الأول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.، ص: 205.

تناول أفضل عصور هذا التاريخ وأزهى أيامه والوقوف عندها وبسط العبرة المنبثقة على تاريخ المسلمين كله. أو الوقوف على أسوأ الأمثلة والحوادث وأظلم أيامه وسحب كل هذه "السوداوية" على تاريخ ودين الأمة[1].

وهذا في غياب أعمال ناضجة مبوبة ومرتبة تخص مفاهيم الدولة وتحديد مفاهيم مهمة كالحريات العامة والتزام الملوك والسلاطين بها على الإطلاق واحترام حقوق الناس والدفاع عنها، وقد اكتفت كتب السياسة والفقه السياسي بمعالجة قضايا فروعية غارقة في النصائح والمواعظ بعيدة عن "الإلزامية" المشروطة بالعقد الاجتماعي"، الذي وكلته الأمة للإمام بمحض إرادة الجماعة السياسية[2]، ولكن الانقلاب التاريخي من زمن معاوية[3] إلى اليوم فتح الطريق إلى أكبر وباء تعاني منه الشعوب والأمم هو "الاستبداد"[4]، والجهل والتجهيل واستحلال أموال وأرواح الناس بغير حق، ولاجريرة ارتكبوها. ولعل الغياب الكلي للاجتهاد في تنظيم وتبويب

---

(1) الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس 1993م، ص: 79.

(2) انظر دور الجماعة السياسية في تكوين النظام السياسي الاتفاقي القائم على الولاء للدولة وهذا في مشروع السقيفة بعد هجرة النبي ﷺ انظر: حميد الله (محمد)، مجموعة الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة بيروت، دار النفائس، 1985م. ط. 5. ص: 57 – 62. بلغيث، دروس في السياسة الشرعية، ص: 15.

(3) حول التغيرات التي أحدثها معاوية في نظام الإسلام الشوري يراجع الدراسة الجادة للأستاذ، الغضبان (محمد منير)، معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، دمشق، سوريا، دار القلم، 1417هـ/ 1996م. ط. 3. ص: 379. حسن الترابي، السياسة والحكم (النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، لندن، دار الساقي، 2003م. ص: 158.

(4) كمال عبد اللّطيف، في تشريح أصول الاستبداد(قراءة في نظام الآداب السلطانية) بيروت، دار الطليعة، 1999م. ص: 108 وما بعدها.

وظائف الدولة وتأصيل وتفريع مبادئ فلسفة التشريع هو الذي غيب هذا الباب العظيم من تراثنا الإسلامي.

إن خفوت شوكة الدين في سياسة الدولة الإسلامية أدى إلى انتقاص أطراف هذه الدولة الإسلامية، ونشوء دويلات متعددة في مختلف بلاد الإسلام ينقض بعضها بعضا، ويروم اللاحق منها إصلاح ما فسد من الدين في السابق، حتى إذا ما دب في هذا اللاحق الفساد آل ملكه إلى الانحلال والزوال، وهو ما أشار إليه الماوردي كسبب من أسباب زوال الملك إذْ يقول: " والسبب الثاني أن يكون الملك ممن قد استهان بالدين وهوَّنَ أهله، فأهمل أحكامه وطمس أعلامه حتى لا تُؤَدَّى فُرُوضُه وتُوَفَّى حقوقُه، إما لضعف عزمه في الدين، وإما لانهماكه في اللذات، فيرى الناسُ أن الدين أقْوَمُ، ولحقوقه وفروضه ألزم، فيصير دينه مذحولا وملكه محلولا"[1].

وفي نطاق هذا الوضع نعثر في التاريخ السياسي الإسلامي على محاولات إصلاحية قامت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، تهدف إلى تلافي الفساد الذي يطرأ على سياسة دولة من الدول أو من أمير من الأمراء، وتروم تنزيل السياسة الشرعية التي مارسها الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون منزلة الواقع[2].

---

[1] الماوردي (أبو الحسن)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق محيي هلال العسكري، ود/ حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت 1981م. ص: 154. راجع أيضا كيف قيم العلامة ابن خلدون العمران البشري وأسباب زوال الدول وكذلك كتاب نصائح الملوك، لعلام (عز الدين)، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، المغرب الأقصى إفريقيا/ الشرق، 1991م ص: 229 وما بعدها. سبط بن الجوزي كتاب كنز الملوك في كيفية السلوك، نشره مع مقدمة باللغة الإنجليزية غوسطة فيتيستام (Gosta Vitestam) السويد، 1970م. ص: 49.

[2] النجار (عبد المجيد)، الدين والدولة في فكر المهدي بن تومرت (فصول في الفكر =

ومن هذه التجارب الإصلاحية تجربة فذة نشأت بالغرب الإسلامي في القرن الخامس على يد جيل من الفقهاء والعلماء والمفكرين "هو جيل المرابطين"، الذي أسهم فكريا وسياسيا في إحياء رسوم الشريعة بالغرب الإسلامي، وأحيى رسوم العلم، والجهاد كما مرّ بنا ونحن نؤرخ لتاريخ النهضة الفكرية في الأندلس في عهد المرابطين، وكما أشرنا إلى مراكز الحركة الفكرية في الأندلس في هذه المرحلة كقرطبة وإشبيلية وغرناطة وسرقسطة، والتي امتد نشاطها الفكري وتأثيرها الثقافي على مدن وحواضر المغرب الأقصى فأصبحت مراكش وفاس وسبتة وتلمسان مراكز إشعاع علمي وقواعد سياسية لولايات هامة في هذا العصر.

يمكن الحديث عن الإمام الحضرمي كأحد أعمدة النظام المرابطي الذي يعمل على معيار "الحفاظ على الدولة" وإن كان لا يصل في تحليلاته إلى حل مقنع للعلاقة بين الأخلاق والسياسة على الرغم أن الفلسفة اليونانية لم تفصل في مجمل أعمالها بين الأخلاق والسياسة وكذلك فعلت كتب الأخلاق أو مرايا الأمراء التي هي الأخرى بعض من حكمة الفرس والهند كما ظهرت في الثقافة الإسلامية وفي الأعمال الخاصة بنصائح الملوك[1]. إذ هو لا يتصور الظاهرة السياسية من زاوية " ما ينبغي أن يكون"

=

الإسلامي بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م ص: 67. الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك، دراسة وتحقيق، رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1413هـ/ 1992م. ص: 28. حسن الترابي، السياسة والحكم، ص: 208.

(1) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق، ناجي التكريتي، بيروت، دار عويدات، 1978م ص: 14. ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1983م. ص: 15.
سبط بن الجوزي كتاب كنز الملوك في كيفية السلوك، ص: 87. كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، ص: 82.

مقابل، "ما هو كائن" ولا يشيد مدينة سياسية مثالية بالتعارض مع الدولة السلطانية"دولة المرابطين "القائمة"، فالإشارة إلى أدب الإمارة"[1] لا يحمل أي نزعة خيالية أفلاطونية كما هو الشأن مع أصحاب "المدينة الفاضلة" بل إن الكتاب ينم عن واقعية تزداد حدتها بوضعنا إياها إلى جانب تصورات الفقهاء المرتبطة بدولة الخلافة والشرع، وتصورات الفلاسفة المرتبطة بالسياسة المدنية، صحيح أننا نجد العديد من النصائح تدخل في مجال ما ينبغي أن يكون، إلا أن ممكنات الإمام الحضرمي واقعيات بالقوة إن لم يكن بالفعل، وتفترض إمكانية الحاكم اللجوء إليها في ممارسته للسلطة السياسية، لأن كتاب الحضرمي ألف لحاكم عادل يرى في أمثال الحضرمي أهل علم وشريعة ونصيحة وسلطة واقعية، فكانت نصائح بل أوامر هؤلاء إلزامية، حتى توافق الواقع والشرع. وعلى هذا فأول ما واجهت الدولة السلطانية الجديدة "الشرعية السياسية"[2]، التي هي من المشكلات الأساسية المطروحة في تاريخ الغرب الإسلامي في مرحلة المرابطين وهو ما تناولناه عند الذي أيد الدولة الجديدة في رسالة شهيرة أرسلها من الإسكندرية، هي عبارة عن اعتراف ضمني بسلطة يوسف بن تاشفين الذي

---

(1) بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص: 61. عز الدين لعلام، السلطة والسياسة، ص: 6 وما بعدها.

(2) انظر:

Abdallah Ben Mlih , structures politiques du Maroc colonial d'un « Etat sultanien à un « Etat sedimental « Thèse de doctorat en science politique, Université de droit ,d'économie et de sciences sociales de Paris (Paris II)Mai 1988. P: 59.

انظر بخصوص شرعية السلطان أو أمير المسلمين المرابطي: ضريف، مؤسسة السلطان "الشريف"ص: 10.

Agnouche(A), Histoire politique du Maroc (pouvoir – légitimités – institutions) Casablanca; Afrique - Orient ; 1987; P: 101. (Chapitre. 2. section. I.

كان هو الآخر يبحث عن دعم جديد لسياسته الأندلسية، مع كل الأطراف التي من مصلحتها إعادة تحقيق مصلحة الأمة الإسلامية في "الوحدة والتوحيد"، وهي رسالة وهَمٌّ مشترك بين فقهاء الشريعة ورجال الفكر الإسلامي على اختلاف تصوراتهم لشؤون الأمة[1].

وإذا ما تمعنا كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة للإمام الحضرمي الذي يعد "دستورا مختصرا" لدولة المرابطين منذ مرحلتها الصحراوية، كما سوف نعرف ذلك عند تحليلنا للكتاب الذي سنكتفي من عرضه بما يخدم موضوع هذا الفصل بدلا من العرض السريع لقواعده التي من أجلها كتبه صاحبه. إن مضمون الكتاب ـ كما سنرى لاحقا ـ يفترض في مؤلفه معرفة عملية بشؤون السياسة وتجربة سياسية، قد تتسع أو تضيق، فإضافة إلى النماذج المعروفة من الكتب التي تندرج ضمن الأدب السلطاني، يمكن القول: إنَّ المفكر السياسي السلطاني بشكل عام هو رجل سياسة لأحد أهم كتاب الأدب السياسي السلطاني هو الإمام الحضرمي (489هـ/ 1096م) حيث ارتبط بالحياة السياسية في عصره فالحضرمي ارتبط ببداية الدعوة المرابطية، واصطحب الجند المرابطي المتوغل في الصحراء، ولأنه كان يرى "أن رجال السلطة المرابطية في حاجة إلى معرفة" رسوم الملك

---

(1) يوسف تيتواح، الإمام أبو بكر الطرطوشي وآثاره العلمية (451- 520هـ/ 1058-1126م) (مجلدان)، المجلد الأول، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، إشراف، د. محمود اليعقوبي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2001- 2002م. ص: 342. كمال عبد اللّطيف، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) ص: 91 وما بعدها. إحسان عباس، ابن رضوان وكتابه في السياسة، مستلة من كتاب العيد الصادر سنة 1967م، تحية للجامعة الأمريكية ببيروت في عيدها المئوي (1866- 1966م). ص: 34.

وآدابه...[1]. "قام بتأليف كتابه في السياسة ليكون منهجا لهم في الحكم، وحاول رسم كتابه على نسق الأوراد اليومية أو الدساتير القانونية ليلتزم به الحاكم المسلم المرابطي في يومه وشهره حتى يدرك الحلول اللازمة للمستجدات السياسية والعسكرية[2].

ومما هو واضح من خلال الكتابات الجديدة عن الإمام الحضرمي أنه شخصية مؤثرة بالغة التأثير على المستوى الأهلي أو الرسمي، سواء في الجهاز الإداري المرابطي في المرحلة الصحراوية؛ إلى جانب أبي بكر بن عمر اللمتوني أو على مستوى المخيال الشعبي، وهذا ماجاء في الكتابات التاريخية الجديدة لباحثين من موريتانيا[3] وجامعة باهية[4] بالبرازيل ومواقفهما العلمية الجريئة حول المرابطين والمفكر القيرواني الإمام الحضرمي.

إن الإمام الحضرمي وعلاقته بالجهاز السياسي والدعوة المرابطية في مدينة آزوكي، منذ بداية الدعوة المرابطية حيث صاحب الأمير المرابطي إلى الصحراء لنشر الإسلام بين التجمعات الوثنية، استجابة للدعوة الإسلامية التي تلقاها في حلقة عبد الله بن ياسين الجزولي، وتكاد المصادر الإسلامية تغفل شخصية هذا الأمير المجاهد الذي ارتبط به المفكر والفقيه

---

(1) المرادي، الإشارة إلى أدب الإمارة، تحقيق د. رضوان السيد، ص: 15.
ابن الأزرق، الإبريز المسبوك في كيفية أدب الملوك، مخطوط رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة رقم: 1375. ص: ورقة12 وجه. عز الدين لعلام، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، ص: 95.

(2) لعلام، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، ص: 29.

(3) انظر:
Abd El Wedoud ould cheikh and Bernard saison , le théologien et le somnambule: Un_ épisode récent de l’histoire almoravide en Mauritanie ,OP- Cit P:303 .

(4)Paulo Fernando de Moraes Farias, The Almoravids some questions OP –CIT P: 873.

الأصولي أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني الذي تولى القضاء بمدينة آزوكي، وألف لأبي بكر بن عمر المرابطي كتابا ودستورا يدعو إلى معالي الأمور، إذ أنه كما ذهب إلى ذلك كثير من الدارسين أن الأمير أبا بكر بن عمر طلب منه كتابته ليكون دستورا له، وللمرابطين من بعده، وقد رأى الحاجة الماسة له حتى يعرف أسرار السياسة وليوضح له فيه ضرورة السلطة وعلاقتها بالسياسة الشرعية[1].

وتظهر تجليات هذا التحالف بين الأمير والمفكر بصورة واضحة في هذه العلاقة التي ربطت بين الإمام الحضرمي والأمير المرابطي أبي بكر بن عمر مدة وجودهما في الصحراء إلى أن استشهد الأمير في غزوة لممالك السودان الغربي الوثنية[2]. واستثمر الكاتب السلطاني السياسي هذه المكانة بمشاركته للأمير في إدارة شؤون الدعوة ودواليب الدولة على بساطتها، وتبدو سيرة الأمير والمفكر الإمام الحضرمي أو الشيخ الإمام الحضرمي كما تلقبه السيرة الشعبية كما جاء في أبحاث المؤرخ الموريتاني المختار ولد حامدون، بشكل يوحي بتعلق العقلية الشعبية في موريتانيا بهذا المفكر الذي تعتبره كثير من العائلات الوجيهة جدها الأعلى.

---

(1) انظر حول هذه العلاقة بين الأمير المرابطي وبين الإمام الحضرمي، بلغيث (محمد الأمين)، الرُّبُط بالمغرب الإسلامي و دورُها في عصري المرابطين والموحدين، ص: 208. كمال عبد اللّطيف، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) ص: 80 وما بعدها. ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص: 42- 43. بوتشيش، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية.

(2) راجع عن شخصية شيخ مؤرخي بلاد شنقيط الأستاذ الشيخ المختار ولد حامدون:

P. F. de Moraes Farias , The Almoravids some questions , OP CIT P: 874.

يشكل كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة للإمام الحضرمي أول كتاب في السياسة الموضوعية[1] تم إنتاجها في الغرب الإسلامي، إذا استثنينا كتاب السياسة لابن حزم الظاهري وكتاب" السياسة لأبي العباس التدميري من القرن الرابع الهجري الذي يقوم على تحقيقه الأستاذ محمد بن شريفة[2].

ونحن لا نريد الآن تحليل نوعية هذه الكتب السياسية كما فعل الأستاذ عز الدين لعلام[3] بقدر ما نريد استخلاص إشكالية الإمام الحضرمي، وهنا لا بد من إبداء ملاحظة جوهرية تتمثل في ضرورة دراسة الفكر السياسي لهذا "المفكر" من خلال سياق "الدولة" التي عاش في أحضانها والتي كان يسعى إلى "الإشارة إلى تدبيرها". "تتضمن بنية التفكير السياسي عند "الحضرمي" وإشكالية سياسية تطمح إلى تأسيس مشروع سياسي"كما كان عليه أمر عبد الله بن ياسين[4]. إذ أن الإمام الحضرمي قبل

(1) المرادي (أبو الحسن محمد)، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق د/ سامي النشار، الطبعة الأولى دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1981م ص: 34.

(2) انظر عن هذا الكتاب الضائع: الكتاني (محمد إبراهيم)، بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم (مجلة تطوان)، العدد 5 المغرب الأقصى 1960م ص ص: 95-107. د. كمال عبد اللّطيف، في تشريح أصول الاستبداد(قراءة في نظام الآداب السلطانية)ص: 54 هامش رقم: 3.

(3) العلام (عزالدين)، السلطة و السياسة في الأدب السلطاني، ص: 229.

(4) ضريف (محمد)، تاريخ الفكر السياسي بالمغرب (مشروع قراءة تأسيسية) المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق، 1989م. ط. 2. ص: 92. كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، ص: 108 وما بعدها. المرادي، كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة (نشرة رضوان السيد) ص: 30. وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، ص: 34-35. مصطفى بنسباع، السلطة بين التسنن و"التشيع" والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ص: 24.

كل شيء كان فقيها عالما بأصوله وككل فقيه[1] فإن إشكاله السياسي سيتمثل في الطموح إلى "وحدة الجماعة" من خلال تأسيس سلطة، لكن إشكالية الحضرمي في السياسة لها مرجعيتها الموضوعية... من خلال "الجاهلية السياسية" التي يقول عنها ابن عذاري المراكشي: "وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم، وأمراؤهم يتولون الإمارة بينهم، إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه، كما فعل ملوك طوائف بالأندلس"[2]، لقد أضحى المغرب يعيش "جاهلية سياسية" إذ انقسم إلى مجموعة من الإمارات المتناحرة فيما بينها كما سبق لنا الإشارة إليها في موضعها، وهذا على إثر الأسباب التي كانت وراء التوسع المرابطي على حساب ملوك طوائف المغرب.

فوحدة الجماعة السياسية والمذهبية عند المفكر والسياسي زاوية أساسية في التصور الذي رسمه وعلى الخصوص أن الإمام الحضرمي قد تأثر بمنطق الأديب البارع عبد الله بن المقفع من خلال موقفه الموضوعي من مؤسسة الجند[3]، إذ من قواعد نظرية الحضرمي الهامة بعد إمارة المسلمين قاعدة الجند[4]. وفي هذه تتبين لنا بصيرة الحضرمي وتطلعه لمستقبل الدولة، حيث إنَّه كان يكتب لأمراء المرابطين فاقترح عليهم ضمن

(1) انظر رسالة الفقيه المرابطي، بن حمادي (عمر)، الفقهاء في عصر المرابطين، ص: 204 وما بعدها.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المرابطي، ص: 10.

(3) محمد كرد علي، رسالة ابن المقفع في الصحابة (رسائل البلغاء) مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة 1946م ط. 3. ص: 120. (بشار) قويدر بن عيسى، آراء في إصلاح الدولة الإسلامية من خلال رسالة الصحابة لابن المقفع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990م. ص: 15 وما بعدها.

(4) المرادي، أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد ص: 31.

مشروعه الفكري أن لا يعتمد على عصبية واحدة في الجيش حتى لا تنقلب عليه وتتولى السلطة فيقول: "ويستحسن للسلطان أن يكون جنده أجناسا متفرقة وقبائل شتى لا يتهيأ فيها الاتفاق على رأي واحد في الخلاف، وأن يسوس جنده سياسة تخرج شيوخه وقائده عن الاتفاق والصداقة وعن الخلاف والعداوة؛ فإن الأمرين جميعا يعودان عليه بالمضرة"[1]. وهذه استجابة ذكية من الحضرمي لظروف الجند المرابطي الذي كان يعتمد فيه على قبيلة لمتونة التي استشهد الكثير من رجالها في معارك المغرب والأندلس. وبتطور الدعوة والدولة تطلب الأمر دخول عناصر جديدة؛ لهذا انضم إلى الجند المرابطي مصامدة الجبل وغيرهم من عناصر المجتمع المغربي بما فيهم الحشم والسودان وزناتة وبعض بني هلال بل وتجاوز أمير المسلمين علي بن يوسف كثيرا من القواعد التي عالجها الفقهاء في عصر المرابطين حيث تشدَّدُوا في النكير على أهل الذمة وكراهية استخدامهم في مؤسسات الدولة الإسلامية[2]. ومع هذا تعامل مع المستعربين المسيحيين من أهل الأندلس ووظف ضمن جنده مرتزقة وقيادات عسكرية مسيحية في جيشه المسلم[3] أُنيطت بهم سياسة حماية الطرق التي اقتضت فرض المغارم على مستعمليها ومستعملي الأسواق المتصلة بها. ولهذا فإن الدولة المرابطية

(1) المرادي كتاب السياسة، تحقيق سامي النشار، ص: 94.

(2) عبد الرحيم الأسنوي الشافعي، رسالة في استخدام أهل الذمة وتحريم استخدامهم، مخطوط الدار التونسية للكتب رقم: 18787 2/ ظ. ابن قاسم الجذامي، شرح القباب لمسائل ابن جماعة في البيوع، مخطوط رصيد المكتبة الوطنية، تونس رقم: 15024. ورقة: 61 وجه.

(3) خوسي أليماني، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، ترجمة أحمد مدينة (دعوة الحق)، العدد الخامس، المغرب. 1978م. الصديق بن العربي، طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب (مجلة تطوان)، المغرب، 1956. ص: 155.

في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف قد سخرت هؤلاء المرتزقة أنفسهم في الجباية بوجه عام وجعلتهم "يأخذون من المسلمين نفقاتهم وأكثر ما يجب عليهم" رغم حرص الأمير على إقامة الحق والعدل كما هو وارد في رسائله إلى وكلائه بالأندلس[1]، وهو الباب الذي دخل منه المهدي لضرب النظام المرابطي الذي يعتمد على تعسف موظفيها وفرض القبالات والرسوم غير الشرعية وتكليف الرعية فوق طاقتها[2].

ولا سبيل هنا ونحن نقترب من المشروع الفكري للنخبة السياسية الواعية برسالة المجتمع المسلم في مرحلة من أخطر المراحل التي تعيشها العقلية الإسلامية ببلاد الغرب الإسلامي، حيث تعرف الشتات والتفرق المذموم والصراع بين العصبيات حول السلطة والسلطان دون اعتبار لمخاطر السقوط والانحراف؛ لأن أهم خصائص الشخصية المتميزة هو تعبير المفكر عن وعي الأمة، وهذا معناه أيضا على المستوى الفكري والفلسفي هو وعي الذات، الذي هو الآخر وعي جماعي بوحدة الشعب والأمة التي تعبر عن تميزها وخصوصيتها كهوية مختلفة عن الآخرين[3]،

---

(1) ابن عذاري، البيان المرابطي، ص: 63.

(2) (القبالات في عهد المرابطين) "وكانت أكثر الصُنَع بمدينة مراكش متقبلة، عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل، وكانت القبالة على كل شيء يباع دق أو جل شيء على قدره". فلما وصار الأمر إلي المصامدة قطعوا القبالات بكل وجه وأراحوا منها واستحلوا قتل المتقبلين لها ولا تذكر القبالة ذكرًا في شيء من بلاد المصامدة، واستنكر الصلحاء المكوس وأصحاب هذه الحرفة الشنيعة، الإدريسي، نزهة المشتاق، الجزء الأول، ص: 236. طاهر الصدفي، السِّرُّ المصون، ص: 116. ترجمة رقم: 34. صلاح أحمد خليفة، القبالات في المغرب والأندلس، ص: 548. مصطفى بنسباع، السلطة بين التسنن و"التشيع" والتصوف، ص: 84.

(3) Maya Shatzmiller, L'historiographie mérinide (Ibn khaldùn et ses contemporains Leiden –Brill 1982 P: 136.

والإشكال على ما هو معروف في الدراسات السوسيولوجية، هو تعبير عن قضية لا تزال مطروحة إلى اليوم عند المفكرين العرب والمسلمين وهي إشكالية الأمة والهوية الثقافية، ويمكن إدراج وحدة الجماعة ضمن هذا المنظور الفكري الذي تبناه المفكر الإمام الحضرمي كأحد العناصر الأساسية لمشروعه الفكري أو مشروع المجتمع كما اصطلحنا على التنبيه إليه في مدخل هذه الرسالة وضمن مصطلحاتها[1].

وهكذا تكون السياسة المحتملة من حاكم مسلم كأبي بكر بن عمر أمير المرابطين سياسة محتملة في صالح الراعي والرعية، وهذا من خلال "وحدة الجماعة". وليس من قبيل المبالغة القول: إنَّ جل الباحثين والمفكرين المغاربة إلى حد قريب كانوا يعرفون عن تاريخ الفكر والحضارة بالمشرق حتى بلاد فارس أكثر مما يعرفون عن الغرب الإسلامي. لهذه الأسباب جميعا تابع أديب الأندلس ومؤرخها ابن بَسَّام الشنتريني أحوال وأخبار الأندلس وسجله في موسوعته الكبيرة "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ليسجل كما هو ظاهر على عنوان موسوعته الأدبية؛ خصوصيات الأندلس أو الجزيرة كما نعتها؛ وهو نفس الهم الذي سجله ابن حزم الظاهري في عمله التاريخي "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها[2]، أوكما فعل أيضا أبو الوليد الشقندي (444هـ/ 1111م) حينما كتب رسالة في فضل الأندلس"[3] وهو أمر يدل على

---

[1] Mohamed Kably , Ummah ,identité régionale et conflits politico -cultures: cas du Maroc médiéval In(Variations islamistes et identité du Maroc médiéval , éditions maisonneuve et la rose Paris , éditions OKAD 1989 P: 8.

[2] رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها (رسائل ابن حزم الأندلسي)، الجزء الثاني، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م. ص: 171–188.

[3] الشقندي (أبو الوليد)، رسالة في فضل الأندلس، المقري، نفح الطيب، الجزء الثاني، =

"الشعور بالانتساب إلى الغرب الإسلامي والاعتزاز بذلك من جهة وسريان الدم الغربي في عروقهم من جهة أخرى"[1].

إن الأمر الثابت من تأليف الشقندي وابن حزم لرسائل فضل الأندلس وأهلها لدليل على أن الرسالتين وثائق تتضمن ما يستطيع أهل المغرب أن يبزوا به زملاءهم في المشرق، وأن ينافسوهم ويفاخروهم[2].

ففي هذا التأطير العام لرسم شخصية الغرب الإسلامي، تظهر مكانة الوحدة والتوحيد عند المفكر والإمام الحضرمي حينما يعمل على إعادة ترسيخ صورة الوحدة في أذهان (رعايا) دولة المرابطين التي تسعى إلى ترميم ما خربته الذمم الفاسدة التي تعاملت مع الكفار والذين تعد موالاتهم جريمة في حق المضامين الفكرية والشرعية لهذه الأمة، التي تسعى السلطة الجديدة ومن عمل على استمرار نموها وتوسعها من فقهاء ومفكرين ومؤرخين إلى إعادة رسومها وتقعيد حكمها الشرعي، وهو ما يمكن التمعن فيه من خلال نص "الإشارة إلى أدب الإمارة" ولا يمكن لأمير المسلمين الداعي إلى وحدة الجماعة أن يتجاوز عن أهل السفه والجرأة إذا أفتاتوا عليه أو على غيره من الرعية، وإنما يكون الحلم والتسامح فيما لا يضر المملكة ووحدة الجماعة وفي غير الأحكام المتعلقة بالشريعة ومتى انخرمت هذه الحدود في الحليم من السلاطين أدَّى ذلك إلى فساد كبير، وأكبر فساد تعرفه منطقة الغرب الإسلامي فساد الرعية وزوال وحدة المجموعات السكانية التي تشكل عصبية الدولة المرابطية. وأساس وحدة الجماعة التي يدعو إليها الإمام الحضرمي قوامها تنزيل أحكام الشريعة

=

ص: 126-150.

(1) سالم (يفوت)، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ص: 36.

(2) الشقندي، رسالة في فضل الأندلس ص: 127.

الإسلامية مقام الفوضى السياسية التي يعرفها سكان إفريقيا الغربية في عهد أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي يخاطبه الإمام الحضرمي ويدعوه إلى معالي الأمور ولأن هم المرابطين الأول ينبغي أن يكون "الاحتفاظ بالسلطة" ولا بد من الاعتراف بأن ذلك عسير بل عسير جدًّا، إن عليهم ألا يغتروا بسهولة الأمور في البداية وسيرورتها بغير تدبير وسياسة كثيرين، ذلك أن الدولة الصاعدة يُحالفها الحظ عادة ولكن إلى حين، فإن لم يقترن هذا الحظ منذ البداية بسياسة ضابطة حافظة لم يعد كافيا بعد فترة قصيرة.

كان ميلاد السياسة كفكر مع بداية ظهور التجمعات الإنسانية التي قامت على أسس السلطة السياسية، وقد كان العالم الإسلامي قد أوجد لنفسه خطًّا يسير عليه في حراسة الدين وسياسة الدنيا، ولا قيام للدين إلا بالولاية. وللسياسة[1] تعريفات عديدة يضيق المجال عن سردها، سواء كانت عربية أو أجنبية، ونخلص من معظم التعاريف إلى أن علم السياسة

(1) بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص: 27 وما بعدها. بلغيث، دروس في السياسة الشرعية، ص: 35. عبد الوهاب مروان، النظرية السياسية بين اليونان والإسلام (مقاربة اتفاق وافتراق)، دمشق، قَدْمُس للنشر والتوزيع 2000م. ص: 55. سعد أودية، معنى السياسة بين عبد الملك بن مروان ووليم ويلش الأستاذ الأمريكي (العلوم الاجتماعية) الكويت، المجلد 15، العدد 1. ربيع 1987م. ص: 296. رضوان السيد، أبو الحسن الماوردي (دراسة في رؤيته الاجتماعية) (مجلة الأبحاث) السنة 33، بيروت، 1985م. ص: 55.

Muhsin Mahdi, Philosophy and political thought and comparisons (Arabic Sciences and Philosophy (an historical journal) Cambridge University Volume 1 Number 1 March 1991(INALCO) PARIS. Per10386. Vol. 1 (1991)PP: 9-29.

حجة الدين أبو عبد الله بن ظفر الصقلي (تـ 568هـ/ 1178م) السلوانات (سلوان المطاع في عدوان الأتباع)، تقديم وتحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1419هـ/ 1999م. ص: 21.

موضوعه الدول، ومظهر الدول هو السلطة، وكيان الحكومة في مجتمع معين هو الشعب، وتنظيم العلاقة بين السلطة الحاكمة والمحكومين، والسياسة في أبسط مفهومها هي: القيادة التي ترتكز على مبدأ العدالة والإنصاف للرعية التي تعرف في الأدبيات الإسلامية بالعامة، وأن الرعية تريد أول ما تريد حاكمًا عادلا وأن العدل أساس الملك، وأن مبدأ العدالة والإنصاف وتكافؤ الفرص هو ما يعرف بالديمقراطية الصحيحة، ويندر الاشتغال بهذا العلم، إلا في إطار البحث عن مرحلة الأزمة التي عرفتها الخلافة العباسية بعد ظهور أمراء متغلبين فكان الرائد في هذا الباب أبو يعلى الفراء الحنبلي وأبو الحسن الماوردي، وهو العمل في كيفية البحث عن تحقيق شرعية الخلافة والتوفيق بينها وبين المتغلب الذي فرض شوكته على دولة الخلافة، وقد حاول الفقهاء أن يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للأمير المتغلب والنظرية للخليفة، وأصبحت كتب السياسة تعالج ضمن نصائح الملوك، أو مرايا الأمراء وأخلاقهم، والسلوانات في الظروف التي يسقط فيها الملك ويذهب السؤدد[(1)]، ونادرًا ما تُقَعِّدُ الكتُبُ الخاصة بالنكير على الظلمة، أو تحقيق مبدأ الخروج على المستبدين، وهو موضوع تشق من أجله المهج[(2)] أما الذين كتبوا في هذا الميدان منهم الثعالبي في "نصيحة الملوك" والغزالي في "الذهب المسبوك في نصيحة الملوك" والشيرازي في "المنهج المسلوك في سياسة الملوك"

---

(1) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (مقدمة المحقق) ص: 52–53.

(2) مصطفى الشابي، عبد الرحمن بن زيدان، مؤرخًا سياسيا (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية) جامعة محمد الخامس بالرباط، العدد العاشر، (1984م). ص: 146. محمد دراجي، الخروج على الحاكم الجائر بين الجريمة السياسية وحق الأمة في مواجهة استبداد الحاكم (الصراط) مجلة كلية أصول الدين، السنة الثالثة العدد الثالث، الجزائر، جمادى الآخرة 1421هـ/ سبتمبر 2000م. ص ص: 272–304.

والطرطوشي في "سراج الملوك" وابن طباطبا في "الفخري في الأداب السلطانية" وابن الأزرق وابن رضوان المالقي[1] وخيرهم جميعا ورائد هذا الفكر ابن خلدون في مقدمته. وبعد تحليل ورصد مجموعة من الاعتبارات التي تنضوي تحت السياسة والفكر السياسي وبناء المشروع المرابطي، فقد رأينا أن نترجم لمفكرين لهما تجربة سياسية كبيرة في بناء شرعية السلطة المرابطية بالغرب الإسلامي هما الإمام الحضرمي، كخلاصة، بعد تعريفنا بأفكاره، ثم الإمام ابن العربي المعافري الفقيه المتكلم والسياسي الذي تبنى الدفاع عن نظام المرابطين وأردفت ترجمة وتحليل أفكاره وأفكار أستاذه الطرطوشي المالكي أحد المنافحين عن قيام مشروع دولة سُنِّية تنافح عن العقيدة الإسلامية في مواجهة نحلة الشيعة الفاطميين. ويكفي أن نذكر سراج الملوك، لنعرف التجربة الأندلسية في السياسة ونظام الحكم، وهو الذي اعترف له ابن خلدون بريادة علم العمران، إلا أنه قال: "حوم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب" سراج الملوك "وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله؛ ولكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة"[2].

---

(1) بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص: 63-71. كمال عبد اللّطيف، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) ص: 47-52. إحسان عباس، ابن رضوان وكتابه في السياسة، ص: 34.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص: 50.

الإمام الحضرمي
(أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني)
خلاصة تجربة

هو مفكر من علماء الكلام المجيدين الذين تركوا آثارًا بالغة في جيل كامل من العلماء. هو محمد بن الحسن الحضرمي يكنى أبا بكر ويعرف بالحضرمي وينتسب إلى حضرموت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، قال عنه ابن بشكوال في الصلة[1]: "دخل قرطبة في سنة سبع وثمانين وأربعمائة رجل من القرويين" كما وصفه ابن بسام فقال: "وكان أبو بكر هذا فقيهًا فطنا وشاعرًا لسنًا ممن جمع براعة الفقهاء وبراعة الشعراء النبهاء وتصرف المطبوعين".

كان الإمام الحضرمي ـ كما وصفه صاحب الصلة ـ "رجلا نبيهًا عالمًا بالفقه وإمامًا في أصول الدين، وله في ذلك تواليف حسان مفيدة"، ويبين النص السالف أن الإمام الحضرمي صاحب ثقافة كلامية، وعلم الكلام ينزع نحو معرفة الفلسفة، إذ لابد لعالم الكلام من الاطلاع على أقوال الفرق الأخرى فلسفية وكلامية، ويبدو اطلاع الإمام الحضرمي على ميراث الهند وفارس واليونان حاضرًا في مختصره "الإشارة"، الذي يبدو فيما رأينا دستورًا، جمع فيه الحضرمي كل ما ينفع دولة بدوية كدولة المرابطين التي تبحث عن أسس لترسيخ نظامها السياسي القائم على الأخلاق العالية، وأسباب استمرار السلطة، في غياب تقاليد سياسية ملوكية راسخة بالمنطقة الصحراوية التي نشأت فيها دولة المرابطين.

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، الجزء الثاني، ص: 605.

والإمام الحضرمي داعية وإمام في أقصى صحراء لمتونة، وقد سبق أن أشرنا إلى نظريته السياسية "الفقيه المنظر" في رسالة لنا، تحت عنوان "النظرية السياسة عند الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس"، ولا تزال أفكار الحضرمي تحت التحقيق ضمن هذه الرسالة لعلنا نتمكن من فهم أفكاره والتوسع في قراءة الآراء الفكرية التي طرحها في نصه الوحيد.

ولما استشهد عبد الله بن ياسين عام 451هـ/ 1059م في مواجهة برغواطة ونحلتها المنحرفة، تم تعيين الفقيه" سليمان بن حدو" مكانه، إلا أنه ما لبث أن توفي في نفس السنة، وقد كانت القيادة المرابطية في بدايتها قيادة ثنائية تتشكل من فقيه وأمير، وسيظل منصب الفقيه شاغرًا لمدة سنتين إلى حدود 453هـ/ 1061م، وفي هذا السياق وفي هذا التاريخ سيظهر على الساحة "الإمام الحضرمي" الذي كرَّ إلى أمراء المرابطين فانخرط في أسلاكهم، وإنما أراد أن يسلك في حمل دول المرابطين مسلك عبد الله بن ياسين، كما جاء في نص لابن بسام الشنتريني ولو بتهكم ظاهر وهو ما يطرح معه احتمال أن يكون الإمام الحضرمي الحضرمي قد "درس في باكورة شبابه على أبي عمران الفاسي بالقيروان"، ولما وصل الحضرمي إلى المغرب الأقصى وجد سلطة سياسية قائمة، ذات طموحات توحيدية قد أخذت تتوطد، حيث ما كادت تصل سنة 460هـ/ 1068م حتى استقامت الإمارة للأمير أبي بكر محمد بن يحيى بن عمر، وطاعت له البلاد ووجه عماله إليها واستوطن "أغمات"، وفي هذا السياق يندرج كتاب الإشارة "كتأسيس نظري للحفاظ على السلطة ووحدة الجماعة، بعيدًا عن الجاهلية السياسية" (الفرقة أو ملوك الطوائف) في المغرب والأندلس، ولهذا نجد نظرية الفقيه الكبير الحضرمي، تتركز في الحفاظ على السلطة ووحدة الجماعة في دولة بدوية لا تملك عراقة في الملك والتأسيس، كما لا تملك قوة عسكرية "الجند سياج هذه الوحدة السياسية" التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإقامة دولة أمير المسلمين التي تحافظ على خيط رفيع وتبعية رمزية مع سلطة الخلافة الشرعية في بغداد، وتقوم نظرية الفقيه وإمارة المسلمين، على وحدة الجند وإمارة المسلمين، والقيام على جهاد الجاهليات السياسية وحماية البيضة، أي: مواجهة الخطر الذي يهدد الوحدة السياسية ووحدة الجماعة كجزء من وحدة الأمة[1].

تقوم نظرية الفقيه، في التأسيس للسلطة السياسية، ومشروعها السياسي على تبني "إمارة المسلمين"، وهي نسق سياسي فرعي يندرج تحت دولة الخلافة، ومن خلال الفعل التاريخي ورسائل العباسيين فإن الإشارة الواردة في الخطاب السياسي العباسي هو التزام إمارة المسلمين بالغرب بالجهاد، لذلك يطرح دستور الإمام الحضرمي أو الإشارة في تدبير الإمارة ـ أمرين

---

(1) بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص: 49 وما بعدها. محمد ضريف، تاريخ الفكر السياسي بالمغرب، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1989م.ط. 2.ص: 95 وما بعدها. راجع وثيقة العهد ومرسوم الخلافة التي أرسلتها الخلافة العباسية إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين: محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا" دراسة ونصوص"، سلسلة وثائق الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م. ص: 272 ـ 287. محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع (دراسة في التاريخ السياسي)، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1977م.ص: 113.
وعن نفس المراسلات انظر:

Viguera (M), Las cartas de Al ـ Ghazali y al Turtuchi al soberano almoravid Yusuf b.Tachufin (Al ـ Andalus) VOL.XVII fasc2. Madrid 1977.PP: 341 ـ 374. Abdelatif Agnouche, Histoire politique du Maroc (pouvoir, légitimités ـ institutions) P: 95.

بلغيث، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بين الأدب السياسي والواقع التاريخي: ص: 102. (قسم الملاحق). دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ص ص: 192 ـ 200.

أساسيين هما الإمارة أو السلطة السياسية، والجند، أي محور الأمير وجهازه الإداري والسياسي، والجند وعصبياته وقوامه الأخلاقي والقتالي[1]. وكانت مسيرة الإمام الحضرمي تدل على طموح ودراية بما يقوم به داخل جهاز الدولة المرابطية، وقد اختار مغادرة أغمات ـ التي كانت له مجادلات مع فقهائها وفقهاء الأندلس ـ إلى آزوكي لمرافقة أبي بكر محمد بن يحيى بن عمر.وقد ترك علم الجدل والكلام بأغمات لتلميذه أبي الحجاج يوسف الكلبي الضرير النحوي أصيل سرقسطة[2] فخلفه في علم الاعتقادات وكان آخر أئمة المغرب في هذا العلم الذي أخذه عن أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالحضرمي، دفين أطار بالجنوب الموريتاني، وقد وصف أحد الباحثين عمل ورحلات الإمام الحضرمي من القيروان إلى سجلماسة وأغمات وغرناطة ومرسية بأنه عمل دولي، وجرأة على البحث لما يملك من كعب عال باعتراف ابن بسام وابن بشكوال والذين ترجموا له[3].

قال القاضي عياض وهو يتحدث عما قرأ من روايات وأسانيد وما تناول من أبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي السرقسطي المراكشي المتكلم

(1) ضريف، تاريخ الفكر السياسي بالمغرب، ص: 100 وما بعدها.بلغيث، النظرية السياسية، ص: 54 ـ 56.

Abdelatif Agnouche, Histoire politique du Maroc (pouvoir, légitimités - institutions) P: 101 .

(2) عياض، فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر جرار، ص: 226.
الأستاذ يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1424هـ/ 2003م.ص: 83.

(3) انظر: Halima.Ferhat, Sabta des Origines aux XIV siècle , P: 120.
ابن بشكوال، الصلة، القسم الثاني، ص: 605. التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ترجمة رقم: 11. ص: 106.

النحوي الضرير (520هـ/ 1126م) تلميذ الحضرمي وهو من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونُظَّار أهل السنة قال: أنشدني أبو بكر الحضرمي لنفسه في الحجة على إثبات القدر (البسيط)[1]:

علمي بقبح المعاصي حين أركبها	يقضي بأني محمول على القدر
لو كنت أملك نفسي أو أصدقها	ما كنت أطرحها في لجة العمر
كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم	أكن لأفعل أفعالا بلا قدر
وكان في عدل ربي أن يعذبني	فلم أشاركه في نفع ولا ضرر
إن شاء نعمني أو شاء عذبني	أو شاء صورني في أقبح الصور
يا رب عفوك عن ذنب قضيت به	عدلا عَلَيَّ فَهَبْ لي صفح مقتدر

ومما يدل على انتشار الفكر الفلسفي هو حضور واحد من كبار المتكلمين والفلاسفة في عصر المرابطين في آزوكي الصحراوية، حيث يقوم دليل على أن الأفكار السياسية والفلسفية والكلامية التي عرفتها بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي قد عرفت أكبر انتشار في هذه المرحلة، كما أن مالك بن يحيى بن وهيب الإشبيلي، صاحب الأفكار الفلسفية والمنطقية، كان شخصية كبيرة كما أسلفنا، وحينما صادر الموحدون مكتبته كانت عامرة بكتب الحكمة والفلسفة ومنها كتب أرسطو الذي يقول: إنَّ الملوك ثلاثة: ملك

(1) عياض، الغنية فهرس شيوخ القاضي عياض، ص: 227. وصلنا من تأليف الضرير منظومة تعليمية كاملة في العقيدة الأشعرية تعرف بـ"التنبيه والإرشاد" تتكون من 1600 بيت.ويذهب البعض إلى أنه نهج فيها نهج أبي المعالي الجويني في كتاب الإرشاد، أو أنه حاكاه بالنظم والرجز...صحيح أن الضرير سار على تنظيم قريب من التنظيم الذي نظم به الجويني مضامين كتابه الإرشاد؛ لأن هذا الكتاب كانت له سلطة معرفية كبيرة ولكن هذا لا يعني أنه نهج نفس نهجه القد بالقد... انظر: يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 83 وما بعدها.

دين، وملك حزم، وملك هوى.." ويبدو أنه كان يقصد بملك الدين دولة الخلافة الشرعية، وبملك دولة؛ السياسة العقلية من مثل دولة اليونان والفرس، أما ملك الهوى فهو حكم الطغيان أو القوة المجردة، ونشهد لهذه الأفكار الموجودة عند أرسطو وهذا التصور عند الفقيه المغربي الإمام الحضرمي في كتابه "الإشارة إلى أدب الإمارة" إذ يقول: "السلاطين ثلاثة: سلطان عدل وأمانة، وسلطان جور وسياسة، وسلطان تخليط وإضاعة" أما التنظير الكامل لأنواع السلطة أو السلطان وأنواع الحكومات فنجده للمرة الأولى في الفكر السياسي الإسلامي عند الماوردي في: "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملِك وسياسة المُلْك" حيث يعقد فصلا لتأسيس الملك فيقول: "إن هناك تأسيس دين، وتأسيس قوة، وتأسيس مال وثروة". وواضح أن هناك فرقًا بين الحديث عن الملك أو السلطان، والحديث عن مسألة الملك أو السلطة والسلطان لا عن الدولة أو الحكومة.

وابن المقفع والماوردي والحضرمي يتحدثون عن مسألة الملك أو السلطة والسلطان لا عن الدولة والحكومة، لكن إذا قبلنا ذلك من رجل كابن المقفع كان ممتلئًا بالنموذج الفارسي؛ فإن ذلك يعتبر جديدًا وجريئًا من جانب فقيه كالماوردي أو الحضرمي[1].

الحضرمي القيرواني مفكر إسلامي مهموم مغمور أهملته كتب الطبقات وأقلام الكتاب حديثـًا؛ لهذا فالكتاب يكشف عن مفكر كبير يرقى إلى مستوى كُتّاب السياسة الشرعية والفكر السياسي في التاريخ الإسلامي، بل يتفوق عليهم بواقعيته وجرأته في معالجة مفهوم الدولة والحضارة.

---

[1] المرادي، كتاب السياسة، نشرة سامي النشار، ص: 107.
ابن رشد، الضروري في السياسة، ص: 180 وما بعدها.

الخاتمة

إن كتاب الإمام الحضرمي ليس رؤية "مثالية"، بل هو طرح لمسألة القيادة والسلطة في شكلها العملي، الذي استجاب له الحضرمي.

فالكتاب هو بنية المجتمع المرابطي ومفهوم السلطة عند المرابطين وهم الذين ابتعدوا عن مسألة الخلافة وإشكالياتها، وهو الذي فرض على الحضرمي ـ مفكر ومنظر الدولة ـ العمل في الابتعاد عن البت في مسألة الخلافة وهي السلطة الشرعية في الإسلام؛ لأن رسالة الحضرمي الحضارية في دولة المرابطين هي في "كيفية المحافظة على السلطة" فكتب دستورا عمليا بعلم أمراء المرابطين في سلوك سياسي فعال وسياسة جادة كيف يحافظ على السلطة، وهذا بإيجاد بلاط وإدارة محكمة ذات تقاليد حضارية، تضطلع بإيجاد الحلول العاجلة لما يطرأ على مستوى العلاقات بين الدولة والمجتمع، وبينها وبين جيرانها وهذه المحاولة الجدّية "المغربية" عميقة الأثر من حيث الواقعية التي توختها النظرية في طرحها لمسألة القيادة والسلطة لدولة بدوية" كدولة المرابطين"، في هذه الحالة بالذات عرف الحضرمي أزمة الدولة البدوية في مرحلتها الانتقالية التي ستأخذها إما إلى السقوط أو الحضارة والازدهار؛ لهذا تطرق الحضرمي لأمر السلطة والسلطان إذ أن جهازه وإدارته وحنكته هي التي ستقرّر نتائج قيام هذه الدولة.

إن البحث في أمر السلطة عند الإمام الحضرمي ليس من قبيل الترف الفكري الذي يصيب العلماء في فترة ازدهار الحضارة، بل إن الحضرمي في هذه العملية يضع نفسه في مستوى المفكر المسؤول.

ملاحق الكتاب

الملحق الأول

الباب الثالث عشر
في أقسام السلاطين وكيفية سيرهم

هذه النصوص من الإشارة، بتحقيق رضوان السيد.

قالت الحكماء إن السلاطين ثلاثةٌ: سلطانُ عدلِ وأمانةِ وسلطان جَوْرٍ وسياسة، وسلطانُ تخليطِ وإضاعة.

فسلطانُ العدل والأمانة له فضائلُ أربعٌ: الأجْر، والثناءُ والنُصْرةُ والبقاءُ، ومن الأمثال في ذلك، إذا نطق العَدْلُ في دار الإمارة فليبشِّر ساكنَها بالعِزّ والعمارة.

ومن كلام أرسطو طاليس: العَالِمُ بُستانٌ سياجُهُ الدولةُ، والدولةُ سلطانٌ السُنَّةُ، والسُنّةُ سياسةٌ يسوسُها المِلكُ والمِلكُ راع يعضدُهُ الجيشُ، والجيشُ أعوانٌ (يكفُلُهُم)، المال، والمالُ رزقٌ تجمعهُ الرعيةُ، والرعيةُ عبيدٌ يجمعُهُم العَدْلُ، والعدلُ مألوفٌ وبه صلاحُ العالم.

وقد قالوا [ق 25 أ]: العدلُ يزيدُ السلطانَ في عُلُوّه وينصُرُهُ على عدوه، والعدلُ أنْصَرُ من الرجال، ودِرّةُ عمر أهْيَبُ من سيف الحَجّاج.

فهذا القسم من السلاطين إذا بدّل بجنده ورعيته ما عرفوا عَدْلاً رضي به جميعهم، وإن سخط بعضُهم لم يُلْتَفَتْ إلى سخطه إذا كانت العَامَّةُ على خِلاف مذهبه.

فأمّا سُلْطانُ الجَوْر والسياسة فإنه يحتاجُ إلى فُنونِ من التدبير

يَسْتعطفُ بها القلوبَ ويُرَبّي بها الأنصار، ويجبُ أن تكونَ سياستُهُ على قوانين مألوفةٍ ولا يُكْثِر من تغييرها فإن الظُلْمَ المأْلُوفَ تصبرُ عليه النفوسُ أكثَرَ من صبرها على الظلم المتغيّر، ومع ذلك لا يَسْلَمُ من قَدْحٍ، ولا يُؤثِّرُ ذلك في دُنياه إذا عمل بالحَزْم.

فأما سُلطانُ الجَوْر والإهمال فإنما هو لذةُ ساعةٍ ودمارُ الدهر، وفسادُ الدين والعِرْضِ، وخَسَارةُ الدنيا والآخرة، واستعجال الفَقر والذِلّة، وربما صَحِبَ ذلك إتْلاَفُ المهجة.

إذا تقلَّدْتَ شيئًا من أمْر السُّلْطان فَكُنْ فيه أحدَ رجلين، إمّا رجلاً محافظًا عليه، ناظِرا في دوامة، سائسًا له بالجَزْم، وإمَا رجلاً كارهًا له مُكرَهًا عليه تابعًا فيه لآراء السلطان، فإذا كنتَ حافظًا عليه فإياكَ أن يُظهِرَ لك التدبيرُ شيئا من العجز والهوينا، وتَرْك النظر في إصلاح أمْرِك، وتدبير [ق 25 ب] ولايتِك، فاعلم أنه قد يَتَصَوَّرُ العجْز أحيانًا في صورة التوكُّل فيظنُّ العاجزُ أنه متوكّلٌ على الله بعجزه وبِتَرْكِهِ الشريعة، لأنّ الرُّسُل قد حزموا وأمروا بالحزم، وإذا كنتَ كارهًا في ولاَيَتِك وظهر ذلك إلى مُوَلّيكَ فاعمل فيها بما يُصْلحُ دينَكَ وعِرْضَكَ وبما تأمنُ به على نفسِكَ في وقت عزلتك.

واعلم أنّ هذين القسْمَين قد ينتقلُ أحدُهُما إلى الآخر، (وذلك أنه) قد يبتدئ الوالي الولاية راغبًا فيها فلا يزالُ يَفتقُ على نفسه الفتوق ويجلب عليها بتدبيره عظائم الأمور حتى يعود كارهًا في ولايتِه وطالبًا للخَلاَص من عظيم وجْلته، وقد يبتدئُ الوالي ولايته كارهًا فيها فلا يزالُ يفعلُ الأفعال التي يَأْمَنُ على نفسه معها في حين عَزْلته حتى يعودَ راغبًا في ولايته، فيجب أن تكون السياسةُ لكلِّ واحدٍ من هؤلاء حُكْم الحال التي هو فيها لا حُكم الحال التي ابتدأ عليها.

ليكن مطلوبُ الوالي من الولاية ثلاثة أشياء: رضاء ربه، ورضاء سلطانه الذي فوقه، ورضاء أهل الخير والفضل من رعيته، وما عليه ألاّ يَطْلُبَ المالَ والذِّكْرَ والتنعُّمَ فإنها ثابتةٌ على كلِّ حالٍ من أحرز الثلاثة.

خيرُ السلاطين من كان كالنسر حوله الجِيَفُ، وشرُّهُم [ق 26 أ] مَنْ كان كالجيفة حَولها النُسُور، ليعلم السلطان أن الناس يرمون الولاة بسوء العهد، وقِلّةِ الإنْصَاف فإن استطاع أن يُزيلَ ذلك عن عِرْضه وأعراض نُظَرائِهِ بِحُسْنِ إنْصافه فليفعل.

إذا أراد السلطان أن يفعل فعلاً ما من الأفعال فلينظر كيف ذلك الفعلُ عنده وعند الناس فإنْ كان عنده صالحًا وعند الناس فاسدًا فليتركْهُ ما استطاع، فإنه ليس كُلُّ من رآه من الناسِ يَصْنَعُ نكْرًا يستطيع أن يُوسِعَهُ عُذْرًا، وأحقُّ الناس أن يأخُذَ نفسَهُ بالعدل فيما قال أو فعل السلطان لأنه ناقدُ المَقْتِ والمَحَبّةِ لأنهما يُحَسّنانَ القبيحَ ويُقَبّحان الحَسَن، ولا يسمع كلام من يفهمُهُ بالبَغْي فإنه يُهْلِكُ العامل (بقوله) المعمولَ فيه وليعلم الوالي أنّ أكثر رعيته على دينه ورأيه فليكن للخير والفضل عنده نَفَاقٌ، فإنه ما نَفَقَ عند حُمِل إليه، فإذا نَفَقَ عنده الشَرُّ هَلَكَ والسلطان.

يحتاج الوالي في ولايته إلى سياستين، ومن أهل بطانته إلى جنسَيْن، سياسة وبطانة لِتَقْوِيَة مُلْكه، وسياسة وبطانة لجماله، وسياسةُ القوة أولى بالإيثار لأنها [ق 26 ب] إذا انحرفت زال الجمال، وسياسةُ الجمال أحضرُها وأظهرُها حلاوةً، وقد تكونُ القوةُ من الجمال والجمالُ من القوة ولكنّ الشيء يُنْسَبُ إلى مُعْظَمِهِ.

لتعرف رعيتُكَ بما عودْتَها من عاداتِكَ الأبوابَ التي ينالون بها الخير عندك، والأبواب التي يخافون بها الضَيْرَ من قِبَلِكَ، فإنّ ذلك داعيةٌ لهم على

التقرُّب بها لديك، وليكن العاملُ منهم للخير واثقًا بأنه غيرُ ضائعٍ عندَكَ، والعاملُ منهم للشّرّ عالمًا بأنه غيرُ ضائعٍ عندَكَ، والعاملُ منهم للشّرّ عالمًا بأنه غيرُ خفيّ عنك، وليكن عقابُكَ مُعَجَّلاً ومؤجَّلاً حتى يظنَّ السالم منه أنه سيأتيه فلا ينبسط على العودة إلى مثل فعله لخوفه من عقوبته اجعل لذنب السِرّ عقوبةَ السِّرِّ ولذنب علانيةٌ رأى الناسُ العقوبةَ وغَفَلوا عن الذنب فذمُّوا رأيَكَ بالفَسَاد ونسبُوك إلى الظلم، وإذا عاقَبْتَ على ذنْب العلانية سرًا انبسطَتْ عليكَ الذُنُوبُ واجترَأ عليك الظالمُ والسفيهُ، وقد تبدُرُ من ذلك بَدَراتٌ يعاقبُ فيها السلطانُ على ذنب العلانية سِرًّا إذا أراد أن يتصف بالحلم.

ليكن السلطانُ لفريقٍ من أعدائه مُصاحِبًا ومُداهِنًا [ق 27أ] يَعرف به أخبارَ بقيتِهمْ ويَهْدِمُ به اتّفاقَ جَمْعِهم ويتسبّب به إلى خلافهم وتشتيتِ آرائهم.

إذا ابتُلِيَ السلطانُ بقومٍ ذوي نِفاقٍ وشِدّة وَقلَّةُ إنصافٍ وانقيادٍ إلى الحقيقة، فليُقِمْ منهم رؤوسا ويُلْقِ بينهم الخلافَ، وعدمَ الائتلاف حتى يكفيَهُ بعضهم مؤونةَ بعض ويبقى هو في أَمْنٍ وراحة، فإن انصَلَحَ ما بينهم رجعوا كُلّهم عليه فأتْعَبُوه وأهلكوه فليتدبَّرْهُم بهذا التدبير قبل تدبيرهم بالحرب.

الملحق الثاني

الباب الرابع عشر
في أقسام الناس وما تُقَابَلُ به طبقاتُهم

اعلم أنّ الحكماءَ الماضين والملوك المتقدّمين قد قسّموا الناسَ على ثلاثة أجناس: كريم فاضل، ولئيم سافل، ومتوسط بينهما صار اللؤْمُ من أحد أبَويه أو من أصحابه ومُعاشِريه أو من عملٍ من الأعمال التي تقتضيه.

فأمَا الكريمُ فَضَبْطُهُ وملكه بالإكرام، والإنصَاف، والمودّة، والاستعطاف، فإذا جعلْتَهُ سيّدًا كان لَكَ عبدًا، والكريمُ مأمونٌ إذا شبع وقِدر، ومَخُوفٌ إذا جاع وقُهِر، وأرفع الكريمَ فإنّك كلما رَفَعْتَهُ تواضَعَ لَكَ، وضَعِ اللئيمَ جهدَكَ فإنّكَ إذا رَفَعْتَهُ تَرَفَّعَ عليكَ، وعامِلِ المتوسّطَ [ق27 ب] بِقَدْرِ ما فيه من الإكرام والإهانةِ، فامزجْ له الرغبةَ بالرهبة، وقابلْ له الإكرامَ بالإهانةِ فإنه يُعطيكَ خَوْفًا من عقابك ورجاءً في ثوابك، فأمّا الكريمُ فلا بقاء له مع خوف العُقُوبةِ عندك، واعلم أنك إذا أهنْتَ الكريم، فتحْتَ على نفسِك بابًا من اللؤْم والمَضَرّة، وإذا عاملْتَ المتوسط بأحد الطرفين انتقض عليك الطرفُ الثاني منه. وقد كان بعضُ ملوك الفرس يجعلُ لكل طبقةٍ من الناس جنسًا من اللباس يُعْرَفُ به مكانُهُ فلا ينتقلُ عن لباسه حتى يَرى له من الفعْل ما يَسْتَدِلُّ به على فَضْله فينتقل بإذنِ من الوزير إلى لباس الطبقة التي فوقَهُ، وذلك إحرازٌ منهم لإيقاع السياسة في مواضعها ومعاملةِ كُلّ طبقةٍ بما تستحِقُهُ بِنَقْضها وفَضْلِها، فاحصُرْ هذه الأقسامَ بتدبيركَ فإنها لن تُخِلَّ بالجَزْم إن شاء اللهُ تعالى.

وقد قالت الحكماء: إنّ الناسَ طبقاتٌ في الطبائع والأخلاق ومذاهبُهُم شتى في جميع الأحوال: فَعَاشِرْ (في وقت) كُلّ إنسانٍ بما يَحْمِلُهُ خُلُقُهُ ولا يُنْكِرُهُ طَبْعُهُ، وتَخَلَّقْ له بموافقتِهِ بعد دلالَتِكَ على حظّه وإلاّ فلستَ بحكيمٍ في التدبير ولا لطيفٍ فيما تُريد.

واعلم أنّ المُداراةَ درجةٌ [ق 28 أ] رفيعةٌ لا يستغني عنها مَلِكٌ ولا سُوقةٌ، وأنّ القلوب طُبِعَتْ على بُغْضِ مَنِ استعلى عليها، فَعَامِلِ الناس بالمُوافقةِ في غير أماكنِ الغِلْظَةِ، واعلم أنَّ الخِلاَفَ يهدمُ المحَبَّةَ، ويدْعو إلى الفُرقة.

وأهونُ ما تكونُ عند الناس إذا كانت بكَ إليهم حاجةٌ فتعزَّزْ عليهم بالاستغناء وأملِكْهم بقضاء الحاجة، واعلم أنّهُمْ عبيدُك ما دامت لهم إليك حاجةٌ، وأعداؤُكَ ما دام لهم عنك غِنى، فَسَايرْهُمْ في وقت استغنائِهِمْ عنكَ بخلاف معاشرتهم في وقت حاجتهم إليك.

قاربْ عدوَّكَ من الناس بعض المقاربة، ولا تُباعِدْهُ كُلّ المُباعدة، ولا تُقارِبْهُ كُلّ المقاربة فيجترئ عليك، ويطّلِعَ على سِرّك ويُضعف بمقاربته جندَك، فتذلّ بذلك نفسُك، وقد ضربت الحكماءُ لذلك مثَلاً فقالوا: إنَّ الخشيةَ المنصُوبةَ في الشمس إذا أملْتَهَا قليلاً زاد ظِلُّها، وإنْ تَجاوزْتَ الحَدَّ في إمالتها نَقَصَ الظِلُّ فأمّا صديقُكَ فَقُرْبُهُ أنفعُ لكَ من بُعْدِه، وبُعْدُهُ قريبٌ من فَقْده، فعلى هذا فقِسْ أقسامَ الناس إن شاء اللهُ تعالى.

□

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

1 ـ ابن الأزرق الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي تـ 896هـ/ 1491م)، الإبريز المسبوك في كيفية أدب الملوك، مخطوط رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة رقم: 1375.

2 ـ الجذامي (ابن قاسم)، شرح القباب لمسائل ابن جماعة في البيوع، مخطوط رصيد المكتبة الوطنية، تونس رقم: 15024.

3 ـ عبد الرحيم الأسنوي الشافعي، رسالة في استخدام أهل الذمة وتحريم استخدامهم، مخطوط الدار التونسية للكتب رقم: 18787.

ثانيا: المصادر المطبوعة

1 ـ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن الرحمن القضاعي (658هـ) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، نشرة فرانسيسكو كودبرا وزيدين مطبعة روخس، مجريط (1885م).

2 ـ الأبياري (عبد الهادي نجا) سعود المطالع فيما تضمنه الألغاز في اسم حضرة والي مصر من العلوم اللوامع، صححه محمد الصباغ، ج2، القاهرة (1283هـ).

3 ـ بن أبي أصيبعة "أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مج3، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981.

4 ـ بن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (726هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والورق، (1972).

5 ـ ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق، ناجي التكريتي، بيروت، دار عويدات، 1978م.

6 ـ ابن تيمية (تقي الدين بن تيمية)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، مصر (1969م). ط4،

7 ـ ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المطبعة المهدية، تطوان، (1964م).

8 ـ ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق ونشر عبد الهادي منصور، الرباط (1962م).

9 ـ ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنترني، تـ 542هـ).

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج1، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، (1979م).

10 ـ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله تـ 578هـ) كتاب الصلة القسم الثاني، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، (1966م).

11 ـ ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله تـ 776هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مج4، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة (1977م).

12 ـ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر تـ 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج2، دار الثقافة، بيروت (1969م).

13 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي تـ 808هـ/ 1406م).

أ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ العلامة ابن خلدون)، مج6، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1968).

ب ـ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1979م).

14 ـ ابن خلدون (أبو زكريا يحيى بن خلدون تـ 780هـ)، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، منشورات المكتبة الوطنية، (1980م).

15 ـ ابن الأزرق الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي تـ 896هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ج1، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس (1976م).

16 ـ ابن الأزرق بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، (1977).

17 ـ سبط بن الجوزي، [تـ 654هـ] كتاب كنز الملوك في كيفية السلوك، نشره مع مقدمة باللغة الإنجليزية غوسطة فيتيستام(Vitestam Gosta) السويد، 1970م.

18 ـ ابن الصيرفي المصري (أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان) الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص مكتبة المثنى بغداد (1924م).

19 ـ ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري كان حيا سنة 712هـ).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة، ج، س، كولان، وليفي بروفنسال، ط2، بيروت (1980م).

20 ـ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ج1، ط2، دار المعارف بمصر (1984م).

21 ـ ابن مرزوق التلمساني (أبو عبد الله محمد بن مرزوق).

المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس، بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1981م)

22 ـ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، المجلد السادس، دار بيروت، (1956م).

23 ـ ابن هداية الله الحسيني (أبو بكر) طبقات الشافعية، تحقيق عادل نويهض، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت (1977م).

24 ـ الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي تـ 488هـ).

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (1966م).

25 ـ ابن الحداد، [محمد بن منصور بن حُبيش]، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1983م.

26 ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، مطبعة الساعة بمصر (1952م).

27 ـ الصقلي، حجة الدين أبو عبد الله بن ظفر الصقلي (تـ 568هـ/ 1178م) السلوانات (سلوان المطاع في عدوان الأتباع)، تقديم وتحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1419هـ/ 1999م.

28 ـ القلقشندي (أبو العباس) مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب، بيروت (1980م).

29 ـ الفارابي (تـ 339هـ) تحصيل السعادة، تحقيق وتقديم ألبير نصري نادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (1959م).

30 ـ الصدفي (طاهر). السِّرُّ المصُون في ما أُكْرِمَ به المخلصُون، تحقيق حليمة فرحات، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

31 ـ الطرسوسي. (نجم الدين إبراهيم بن علي) (ت. 758هـ/ 1357م):

تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك، دراسة وتحقيق، رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1413هـ/ 1992م.

32 ـ الطرطوشي (محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان الطرطوشي تـ 520هـ) كتاب سراج الملوك، ط1، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر (1935م).

33 ـ الزياني (موسى بن يوسف أبو حمو تـ 791هـ)، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس (1279هـ).

34 ـ عبد الله المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشرة الهولندي، رينهار دوزي، لندن (1881م).

35 ـ علي القلصادي الأندلسي (أبو الحسن تـ 891هـ)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع (1978م).

36 ـ عهد أردشير، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1967م).

37 ـ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي تـ 450هـ).

أ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتاب العلمية، بيروت، (1978م).

ب ـ قوانين الوزارة وسياسة الملك، دراسة وتحقيق الدكتور رضوان السيد دار الطليعة، بيروت، (1979م).

جـ ـ أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كرم راجح، ط1، دار اقرأ، بيروت، (21981م).

د ـ التحفة الملوكية في الآداب السياسية، (المنسوب للماوردي) تحقيق فؤاد عبد المنعم، مؤسسة الجامعة الإسكندرية، (1977م).

هـ ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق محيي هلال العسكري، ود/ حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

38 ـ المجاري (أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي تـ 862م)، برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1982م).

39 ـ عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان، بيروت (1975م).

40 ـ الحضرمي (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني، تـ 489هـ/ 1096م، كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، دراسة وتحقيق الدكتور رضوان السيد، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1981م.

41 ـ الحضرمي (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني، 489هـ/ 1096م، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، النشار، الدار الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (1981م)

42 ـ القاضي عياض (أبو الفضل عياض موسى بن عياض عمرون تـ 544هـ) الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق محمد بن عبد الكريم الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (1978م).

43 ـ القاضي النعمان، (تـ 363هـ)، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس (1978م).

44 ـ أبو القسم بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1404هـ/ 1984م.

ثالثًا: المراجع العربية:

1 ـ إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، بدون تاريخ.

2 ـ أحمد عبد السلام، دراسات في مصطلح السياسة عند العرب، الدار التونسية للتوزيع (1978م).

3 ـ أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، (1961م).

4 ـ أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، ط1، دار الحداثة، بيروت، (1980م).

5 ـ أحنانة (يوسف)، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1424هـ/ 2003م.

6 ـ بلغيث (محمد الأمين)،

[أ] ـ دروس في السياسة الشرعية [دراسة ونصوص]، الجزائر، منشورات بغدادي، 1999م.[2014م]

[ب] النظرية السياسية عند الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م. 2014م

[ج] الرُّبُط بالمغرب الإسلامي ودورُها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف الدكتور عبد الحميد حاجيات. [المجلد الثاني من أعمالي غير الكاملة عند الناشر]، الجزائر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر سبتمبر 1987م.[القافلة للنشر والتوزيع الجزائر 2014م]

[د] ـ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بين الأدب السياسي والواقع التاريخي [مخطوط].

7 ـ الترابي (حسن)، السياسة والحكم (النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، لندن، دار الساقي، 2003م.

8 ـ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (1957م).

9 ـ حميد الله (محمد)، مجموعة الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة بيروت، دار النفائس، 1985م. ط. 5.

10 ـ خلدون (بشير)، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1981م).

11 ـ جورج غريب، عبد الله بن المقفع (سلسلة الموسع في الأدب العربي)، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

12 ـ حمادة (محمد ماهر)، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية، دراسة ونصوص، (سلسلة وثائق الإسلام) ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت (1980م).

13 ـ جمال الدين الشيال، دراسات في التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، (1981م).

14 ـ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، ط2، مكتبة المنار، تونس، (1972م).

15 ـ ح ح عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر (1968).

16 ـ حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف بمصر (1980م).

17 ـ جلال محمد عبد الحميد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1975م).

18 ـ خير الدين الزركلي، الإعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج4، ط5، دار العلم للملايين، بيروت (1980م).

19 ـ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، (مكتبة النهضة بغداد) (1980م).

20 ـ رابح عجنق، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، (رسالة جامعة حائزة على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي)، السنة الجامعية (1980 ـ 1981م) جامعة قسنطينة، الجزائر.

21 ـ الشنيطي محمد فتحي، نماذج من الفلسفة السياسة، دار الجمامي للطباعة، القاهرة (1961م).

22 ـ الريس، محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، الطبعة السادسة دار التراث القاهرة .

23 ـ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (1974م).

24 ـ عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر (1968م).

25 ـ عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر (1971م).

26 ـ علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، الطبعة الثانية مطبعة الساعد السعادة القاهرة، (1963م).

27 ـ عبد الحميد عويس، دولة بن حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، الطبعة الأولى دار الشروق، (1980م).

28 ـ الغضبان (محمد منير)، معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، دمشق، سوريا، دار القلم، 1417هـ/ 1996م. ط. 3.

29 ـ الغنوشي راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس 1993م،

30 ـ السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، دار النهضة العربية، بيروت (1971م).

31 ـ علي أدهم، بعض مؤرخي الإسلام، مكتبة النهضة بمصر (بدون تاريخ).

32 ـ عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ط4، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت (1980م).

33 ـ عمر (بن حمادي)، الفقهاء في عصر المرابطين، إشراف د. محمد الطالبي، شهادة التعمق في البحث (تاريخ وسيط) جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1987م.

34 ـ سعيد زايد، الفارابي (سلسلة نوابغ الفكر العربي) ط3.

35 ـ سوي (خير الدين يوجه) تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، (فترة التكوين: من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير، الأردن، 1413هـ/ 1993م.

36 ـ ضريف (محمد)،

[أ] تاريخ الفكر السياسي بالمغرب (مشروع قراءة تأسيسية) المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق، 1989م. ط. 2.

[ب] مؤسسة السلطان "الشريف" بالمغرب(محاولة في التركيب)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1988م.

37 ـ طالبي عمار، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقد الفلسفة اليونانية، الجزء الأول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.

38 ـ العلام (عز الدين)، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، المغرب الأقصى إفريقيا/ الشرق، 1991م.

39 ـ عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، ط1، دار الطليعة، بيروت، (1979م).

40 ـ عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، ط3، دار الفكر العربي.

41 ـ عبد اللّطيف (كمال)، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) بيروت، دار الطليعة، 1999م.

42 ـ عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1980م).

43 ـ علي أومليل، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، منشورات العربية، بيروت (1981م).

44 ـ عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، ط3، دار النهضة العربية، بيروت (1981م).

45 ـ عثمان الكعاك، التقاليد والعادات التونسية، ط3، الدار التونسية بمصر، (1970م).

46 ـ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر، (1970م).

47 ـ محمد عابد الجابري، نحن والتراث" قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي" ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار الطليعة، بيروت، (1982م).

48 ـ محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب في انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع (دراسة في التاريخ السياسي)، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت (1977م).

49 ـ محمد عمارة، الإسلام والثورة، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1980م).

50 ـ محمد كرد علي، رسائل البلغاء، ط3، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة (1946م).

51 ـ محمد عبد الحي محمد شعبان، الدولة العباسية والفاطمية، دار الأهلية للنشر، بيروت (1981م).

52 ـ مروان (عبد الوهاب)، النظرية السياسية بين اليونان والإسلام (مقاربة اتفاق وافتراق)، دمشق، قَدْمُس للنشر والتوزيع 2000م.

53 ـ المودودي أبو الأعلى، الخلافة والملك، ترجمة أحمد إدريس، ط1، دار القلم، الكويت (1978م).

54 ـ موسى لقبال،

[أ] ـ الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1971م).

[ب] ـ المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج (سياسة ونظم)، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1981م).

[جـ] ـ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1979م).

55 ـ ناجي التكريتي،

[أ] ـ الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير المماليك، ط2، دار الأندلس (1980م).

[ب] ـ الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، ط1، دار الأندلس، بيروت، (1979م).

56ـ النجار (عبد المجيد)، الدين والدولة في فكر المهدي بن تومرت (فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

57 ـ النيفر (محمد الشاذلي)، المازري الفقيه والمتكلم وكتابه والمعلم، منشورات، اللجنة الثقافية الجهوية بالمنستير، تونس (بدون تاريخ).

58 ـ هادي العلوي، في السياسة الإسلامية الفكر والممارسة، ط1، دار الطليعة، بيروت (1974م).

59 ـ وجيه (كوثراني)، الفقيه والسلطان (جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية ـ القاجارية والدولة العثمانية)، بيروت، دار الطليعة، سبتمبر 2001م. ط. 2.

60 ـ يوسف تيتواح، الإمام أبو بكر الطرطوشي وآثاره العلمية (451 ـ 520هـ/ 1058 ـ 1126م) (مجلدان)، المجلد الأول، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، إشراف، د. محمود اليعقوبي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2001 ـ 2002م.

61ـ محمد البركة، سعيد ينحمادة، السياسة السلطانية عند لسان الدين بن الخطيب[776هـ/ 1374م]من خلال رسالته طفي أحوال خدمة الدولة ومصائرهمط، المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق، 2013م.

62ـ عقيدة أبي بكر الحضرمي، تحقيق وتقديم، جمال علال البختي، المغرب الأقصى، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، 2012م.

63ـ الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين[دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقلايمي خلال العصر الوسيط،تقديم محمد حجي، بيروت، المدار الإسلامي، 2007م.

64ـ إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، بيروت، الدوحة، 2014م.

65ـ ولد السالم[حماه الله]، المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل، [1591/ 1898م]، سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم/ 69، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008م.

66ـ الرسالة الغلاوية تأليف سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الوافي، ورسالة في نسب إدولحاج، تأليف عبد الله بن سيد محمود الحاجي، تحقيق حماه الله ولد السالم، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2003م[سلسلة نصوص ووثائق].

رابعًا: الكتب المترجمة

1 ـ جان جاك شفالييه، المؤلفات السياسية من ميكيافيلي إلى أيامنا، ترجمة إلياس مرقص، ط1، دار الحقيقة، بيروت (1980م).

2 ـ جواتياين (س، د)، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة وتعليق، عطية القوصى، وكالة المطبوعات، الكويت (1980م).

3 ـ دومنيك وجانين سورديل، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ج1، ترجمة حسني زينية، ط1، دار الحقيقة، بيروت (1980م).

4 ـ دافيد سانتلانا، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، تحقيق وترجمة وتعليق محمد جلال شرف، دار النهضة العربية، بيروت، (1981م).

5 ـ البارون كارادوفو، مفكرو الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، ط1، الدار المتحدة للنشر، القاهرة (1979م).

6 ـ موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1979م).

7 ـ مونتغمري وات، الكفر السياسي الإسلامي، المفاهيم الأساسية، ترجمة صبحي حديدي، ط1، دار الحداثة، بيروت (1981م).

8 ـ هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس، محمد يوسف نجم محمود، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

9 ـ ج، ف، ب، هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (1980م).

10 ـ هيوغ أتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت (1982م).

11 ـ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ج3، ط4، دار المعارف بمصر (1977م).

12 ـ الموسوعة الفلسفية (وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين) بإشراف، روزنتال، وب، بودين، ترجمة سمير كرم، ط3، دار الطليعة، بيروت (1981م).

خامسًا: الدوريات العربية

1 ـ إحسان عباس، ابن رضوان وكتابه في السياسة، مستلة من "كتاب العيد" الصادر سنة 1967، تحية للجامعة الأمريكية في بيروت في عيدها المئوي "1866 ـ 1966م".

2 ـ أودية (سعد)، معنى السياسة بين عبد الملك بن مروان ووليم ويلش الأستاذ الأمريكي (العلوم الاجتماعية) الكويت، المجلد 15، العدد 1. ربيع 1987م.

3 ـ الحسن السائح، نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الأزرق، (مجلة الأصالة)، السنة الثالثة، العدد 13، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر (1973م).

4 ـ خليفة (صلاح أحمد عبد)، القبالات في المغرب والأندلس، (مجلة المؤرخ العربي)، المجلد الأول، العدد الثامن، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مارس 2000م.

5 ـ خليل أحمد خليل، رموز الوعي السياسي في كليلة ودمنة، (مجلة دراسات عربية) العدد الأول السنة الثامنة عشر دار الطليعة بيروت، (1981م).

6 ـ الشابي مصطفى، عبد الرحمن بن زيدان، مؤرخًا سياسيا (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية) جامعة محمد الخامس بالرباط، العدد العاشر، (1984م).

7 ـ محمد الديباجي، عرض وتحليل لأراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي، (مجلة للبحث العلمي)، السنة "13" العدد "26" المغرب (1976م).

8 ـ الماوردي أبو الحسن، في سياسة الملك "نصوص سياسية من كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق الدكتور رضوان السيد، (مجلة الفكر العربي)، العدد "23" لسنة "3" بيروت (1981م).

9 ـ عبد الحليم عويس، صورة العالم الإسلامي في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري، (مجلة دعوة الحق)، العدد الثاني والثالث، السنة السابعة عشرة، المغرب (1975م).

10 ـ عبد الحميد حاجيات، نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك من خلال كتاب سلوان المطاع"بحث على الآلة الراقنة وقد أخبرني الدكتور عبد الحميد حاجيات في محادثة بتاريخ "10 مارس 1982م" أن هذا البحث سينشر في مجلة"أوراق" بإسبانيا. [نشر المقال في وقته].

11 ـ ظافر القاسمي، فكرة الدولة عند الطرطوشي، (المجلة العربية)، السنة "3" العدد "2" المملكة العربية السعودية، (1979م).

12 ـ عبد الله فياض، الخلافة العباسية في عهد البويهيين، (مجلة رسالة الإسلام)، العدد1، 6، السنة الثانية، العراق (1967م).

13 ـ عبد العزيز عبد الحق، أضواء على سيرة الإمام الماوردي ومؤلفاته وعصره، مجلة الأزهر، القاهرة، جانفي (1977م).

14 ـ محمد نعمان جلال، الفكر السياسي عند الفارابي، مجلة قضايا عربية السنة الثانية، العدد الثاني، بيروت (1977م).

15 ـ عمار طالبي، النظرية السياسية الإسلامية، صور من الملتقى الرابع للفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، (1980م).

16 ـ كمال المنوفي، السياسة مفهوم وتطور وعلم، (مجلة الفكر العربي)، عدد 23، السنة الثالثة، بيروت (1981م).

17 ـ عبد الهادي التازي، مع ابن الأزرق في مخطوطته (مجلة دعوة الحق)، العدد الأول، السنة "17" المغرب (1975م).

18 ـ رئيف خوري، من ضحايا الفكر في تاريخ الأدب العربي. . مصرع ابن المقفع، مجلة الطريق، العددان الخامس والسادس، بيروت، ماي جوان (1947م)

19 ـ مرتضي العسكري، الزندقة والزنادقة في التاريخ الإسلامي، مجلة رسالة الإسلام، العدد الأول والثاني، العراق، محرم (1967م).

20 ـ موسى لقبال، المعز لدين الله وجيل، جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة الأصالة العددان "29 و30" الجزائر، جانفي فيفري (1976م).

21ـ ناجي عباس صالح، أصول الفلسفة الخلقية والسياسية في كتاب سلوك المالك لابن الربيع، مجلة المورد المجلد الثالث العدد الرابع، العراق (1976م).

22 ـ نور الدين آل علي، الفارابي موطنه وثقافته مجلة البحث العلمي السنة "13" العدد "26" المغرب "ديسمبر 1976م".

23 ـ وليد فستق، السياسة في الفلسفة الإسلامية "الفكر السياسي عند الفارابي" مجلة الفكر العربي العددان "14و15" بيروت (1981م)

24 ـ وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها مجلة الأصالة السنة الرابعة العدد "27" الجزائر سبتمبر أكتوبر (1975م).

25 ـ وداد القاضي، جوانب من الفكر السياسي للسان الدين ابن الخطيب، مجلة الفكر العربي العد "23" السنة الثالثة أكتوبر نوفمبر بيروت (1981م).

26 ـ أ ج، روزنطال، آراء ابن رشد السياسة، مجلة البينة السنة الأولى العدد الأول المغرب (مايو 1962م).

27 ـ خوسي أليماني، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، ترجمة أحمد مدينة (دعوة الحق)، العدد الخامس، المغرب. 1978م. الصديق بن العربي، طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب (مجلة تطوان)، المغرب، 1956.

سادسًا: المراجع باللغة الأجنبية

1 ـ الكتب:

1 ـ Arie, (Archel),L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232 ـ 1492, édition, E. Bocard, Paris, 1973

2 ـ Bouyahia, (Chadly), la vie litteraire en ifriqya sous les Zirides (S D T) Tunis. 1972.

3 ـ Doui (Abdemadjid), "l'ifriqya à l'époque Ziride"Histoire de Tunisie le Moyen Age (S T D).

4 ـ Farisi (Abul. Tahir), Manaqib, de Muhriz, B. Halaf, Edition critique par Hady, Roger Idris, (P U F) Tunis.

5 ـ Marçais, (Georges), Notes sur les ribats en Berberie, Mélanges René Basset, édition ernest leroux, Paris. 1956.

6 ـ Maslatrie, (le comte de) Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Magreb avec les chrétiens, (imprimerie librairie de F. Didot, Paris, 1986).

7 ـ Pellat, (Charles), Ibn al Muqaffa, conseilleur du Calife, (G. P. Maisonneuve et larose, Paris, 1976).

8 ـ Pierre Bonte et autres, AL ـ ANSAB(La quête des Origines)anthropologie historique de la société tribale arabe, Paris, éditions de la maison des sciences de l'homme, 1991.

9 ـ Abdallah Ben Mlih , structures politiques du Maroc colonial d'un « Etat sultanien à un « Etat sedimental « Thèse de doctorat en science politique, Université de droit ,d'économie et de sciences sociales de Paris (Paris II) Mai 1988

10 ـ Agnouche(A), Histoire politique du Maroc(pouvoir ـ légitimités ـ institutions)Casablanca;Afrique ـ Orient;1987.

11 ـ Maya Shatzmiller, L'historiographie mérinide (Ibn khaldùn et ses contemporains Leiden Brill 1982.

12 ـ Mohamed Kably ' Ummah ,identité régionale et conflits politico ـ cultures : cas du Maroc médiéval In(Variations islamistes et identité du Maroc médiéval , éditions maisonneuve et la rose Paris , éditions OKAD 1989.

2 ـ الدوريات :

1 ـ . Le Tourneau, R, "L'occident musulman du VII° siècle à la fin du XV° siècle" Annales de l'université d'études (F L U) XVI (1958).

2 ـ Viguera (M), Las cartas de Al ـ Ghazali y al Turtuchi al soberano almoravid Yusuf b. Tachufin (Al ـ Andalus) VOL. XVII fasc2. Madrid 1977. PP: 341 ـ 374.

3 - Muhsin Mahdi, Philosophy and political thought and comparisons(Arabic Sciences and Philosophy (an historical journal) Cambridge University Volume 1 Number 1 March 1991(INALCO) PARIS . Per10386. Vol. 1 (1991)PP: 9 - 29

4- . Paulo Fernando de Moraes Farias, « The Almoravids, Some questions concerning the charater of the mouvement during its periods of closet contact with the western Sudan »Bulletin de l'IFAN,T - XXIX serie B,n°34,pp: 794 878 -

5 - Ould cheikh(Abdel wedoud) et Bernard saison, le théologien et le somnambule, un épisode récent de l'histoire almoravide en Mauritanie ,in les défricheurs de l,islam en Afrique occidentale (Islamic Leaders in west Africa) sous la direction de B. Jewsiewicki et j. l. Québec Canada 1985.

6 - Ould Cheikh Abdel Wedoud et Bernard Saison,Vie(s) et mort(s) de AL - Imam Al Hadrami, Arabica,tome XXXIV, Paris 1987. PP: 48 79 -

فهرست الأعلام

-أ-

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- س -

- ش -

- ط -

- ع -

- ي -

فهرست المدن والبلدان والشعوب والقبائل

- أ -

- ب -

الفهرس العام

الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث



من مواليد الفاتح من شهر جويلية عام 1956 بالشريعة إحدى دوائر ولاية تبسة بالجزائر، زاول القسم الأول من التعليم الابتدائي في مسقط رأسه، ثم انتقل في حدود 1969 إلى مدينة سكيكدة فأكمل دراسته الابتدائية وأَتَمَّ شهادة التعليم الابتدائي ثم التعليم المتوسط. وانتقل بعد ذلك إلى مدينة برج بوعريريج حيث أكمل سنته النهائية بمتوسطة عبد القادر بلعارف، وتحصل هناك على شهادة التعليم العام [BEG] دورة شهر جوان عام 1974م[1].

أنهى المؤلف تعليمه الثانوي بشعبة الآداب في ثانوية شيحاني بشير بمدينة خنشلة بين سنتي [1974–1977]، ونال شهادة البكالوريا دورة شهر جوان عام 1977م.

وفي دورة شهر جوان من سنة 1980 تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة قسنطينة، ونجح في مسابقة الماجستير في التاريخ في شهر نوفمبر من نفس السنة، وجاء ترتيبه الثاني في مسابقة أول دفعة على المستوى الوطني بجامعة الجزائر.

(1) تسربت أسئلة مادة الرياضيات فأعيد الامتحان في كامل المؤسسات التعليمية ببرج بوعريريج في شهر سبتمبر من نفس السنة، وكنت ضمن أول قسم معرب بمتوسطة عبد القادر بلعارف، ولن أنسى الأساتذة الذين درسوني خاصة الأستاذ دربال والأستاذ مهني، فهما على التوالي: مدرس التاريخ والجغرافيا والأدب العربي والأستاذ مهني أستاذ اللغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية، فلهما شكري وامتناني.

نال المؤلف درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، [بجامعة الجزائر في شهر سبتمبر من عام 1987م]، وناقش دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط تخصص تاريخ المغرب والأندلس [يوم الخميس 15 من شهر مايو من عام 2003م]، ثمَّ رُقِّيَ إلى رتبة أستاذ التعليم العالي في دورة ديسمبر 2007م.

أعماله ونشاطاته البيداغوجية والأدبية والعلمية:

أولا: حياته العملية أولا وأخيرًا، هي التربية والتعليم بالجامعة الجزائرية منذ سنة 1981م في قسم الترجمة بمعهد اللغات الأجنبية، ثم مُدَرِّسًا في كلية العلوم الإسلامية منذ سبتمبر 1983 إلى غاية اليوم.

الوظائف: رئيس قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية 2006م/ 2010م، فرئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 (ابن يوسف بن خدة: مارس 2011 إلى شهر سبتمبر 2016م).

نشاطه التربوي: اضطلع المؤلف بالأعمال التربوية والعلمية الآتية:

أولا/ الوحدات التعليمية:

درَّس المؤلف خلال مساره الجامعي المواد والمقاييس التربوية والعلمية التالية:

1 ـ السيرة النبوية.

2 ـ التاريخ الإسلامي.

3 ـ الحياة الثقافية بالمغرب [معهد التاريخ، جامعة الجزائر] 2004 ـ 2006م.

4 ـ السياسة الشرعية.

5 ـ حاضر العالم الإسلامي.

6 ـ دراسات استشراقية في اللغة والقرآن الكريم (ماجستير كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، شعبة اللغة والدراسات القرآنية، [2004 ـ 2005 ـ 2005 ـ 2006]).

7 ـ تاريخ الحروب الصليبية.

8 ـ النهضة الأوروبية.

9 ـ مادة الحضارة الإسلامية [التاريخ والفنون الإسلامية]. الليسانس والماستر.

10 ـ التصحيح والمشاركة في إعداد امتحانات اللغة والأدب الإسباني إلى غاية إلغاء اللغة الإسبانية من شهادة البكالوريا في بعض الثانويات الجزائرية.

ثانيا/ الكتابة في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون:

للمؤلف مشاركات في الصحافة الوطنية والمجلات العربية منذ مرحلة مبكرة من حياته الجامعية، فقد كان ينشر في جريدتي الشعب والنصر، وفي مجلتي آمال والثقافة الجزائريتين.

1 ـ إنتاج برامج ثقافية ضمن برامج الإذاعة الوطنية طيلة 7 سنوات كاملة [1983 ـ 1990م].

2 ـ إعداد حلقات لحساب قناة المستقلة اللَّندنيَّة حول الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الإصلاحية، وحلقات حول الرئيس هواري بومدين. وقد قدمنا للقناة ما يزيد عن سبع وسبعين ساعة بث هي كما يلي:

أ ـ 37 حلقة خاصة بتاريخ الأمير عبد القادر.

ب ـ 27 حلقة خاصة بالحركة الإصلاحية وإمامها العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

جـ ـ 13 حلقة حول الرئيس الراحل هواري بومدين، بمشاركة نخبة من المؤرخين والإعلاميين الجزائريين والعرب.

3 ـ إعداد حلقات عدة حول تاريخ الجزائر المعاصر لحساب قناة الجزيرة الإخبارية من خلال مكتبها بباريس في حوالي أربع ساعات من التسجيل المتواصل وقد بدأ بث القناة الحلقات الأولى حول جذور الوحدة المغاربية في برنامج [أرشيفهم وتاريخنا] بقناة الجزيرة الوثائقية.

4- يعد المؤلف حلقة أسبوعية [حديث الأربعاء] لحساب الإذاعة الثقافية مساء كل أربعاء منذ شهر سبتمبر 2012 إلى اليوم[فبراير 2017م]، تحت عناوين عدة [التحدي الجزائري]، [الرحلة والترحال في المشارق والمغارب] و[التاريخ يسجل] و[مجالس الأندلس] وسوف يظهر الكتاب الأول للمؤلف المستوحى من الحلقات الأولى لبرنامج "التَّحَدِّي الجزائري" بعنوان: **" الجزائر في التاريخ"**.

ثالثا/ الملتقيات العلمية:

للباحث مشاركات كثيرة في ملتقيات دولية بمدريد، وباريس، والقاهرة، ودمشق ومكة المكرمة، كما كانت له مداخلات وتعقيبات مع وفد الزائر الدولي [The International Visitor] بواشنطن ودلاس وسان سيناتي أوهايو، وكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر أوت سنة 2006م، وله محاضرات ومداخلات ببرلين و[ميلوز وريف دو

جي] بفرنسا وإسطنبول وتونس وله مشاركات بالرباط، والقنيطرة، وطنجة، وتيطوان والعرائش بالمغرب الأقصى، وبلنسية ومدريد بإسبانيا.

رابعا/ المؤلفات المنجزة:

بحوث ومشاركات في فنون عدة في التاريخ والأدب طيلة مساره الدراسي والأكاديمي منذ أكثر من ثلاثة عقود، توجت في سلسلة أعماله غير الكاملة المتكونة من 12 مجلدًا كما يلي:

المجلد الأول: النظرية السياسية عند الحضرمي وأثرها في المغرب والأندلس [الطبعة الثانية]2014. الطبعة الموريتانية2017م

المجلد الثاني: الرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي ودورُها في عصري المرابطين والموحدين. [الجزائر 2014م].

المجلد الثالث: القسم الأول من الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين. [الجزائر 2014م].

المجلد الرابع: القسم الثاني من الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين. [الجزائر 2014م].

المجلد الخامس: دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم [الطبعة الثانية]2014م،الطبعة الموريتانية 2017م.

المجلد السادس: حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي [3 حلقات] [الجزائر 2014م].

الحلقة الأولى/ دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي [الطبعة الرابعة]

الحلقة الثانية/ نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي. [الطبعة الثانية]

الحلقة الثالثة/ فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي. [الطبعة الثانية]

المجلد السابع: دراسات وتحقيقات.

أولا: الدراسات:

1. مختصر من سيرة الرسول محمد ﷺ [تأليف] الطبعة الثالثة.
2. المدخل إلى تاريخ صدر الإسلام [تأليف] الطبعة الخامسة.
3. المدخل إلى السياسة الشرعية [تأليف] الطبعة الثانية.

ثانيًّا: التحقيقات القسم الأول:

4. كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية للونشريسي [الطبعة الثانية].
5. إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، للشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة (الكمال) (1282 ـ 1333هـ / 1865 ـ1915م).

المجلد الثامن: التحقيقات القسم الثاني:

التِّبيان [مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة(469–483هـ/ 1077–1090م)].

المجلد التاسع: دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر: ويتكون من كتابين هما:

1 ـ حركة الإخوان المسلمين وبداية المشروع الإسلامي في العصر الحديث.

2 ـ دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر.

المجلد العاشر: قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ: القسم الأول.

المجلد الحادي عشر: قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ: القسم الثاني.

المجلد الثاني عشر: "تعليم الجزائريين في العهد الاستعماري من خلال الوثائق الأرشيفية" [باللغة الفرنسية]، مع ملحق أساسي حول مذكرة نادرة لم تُنشر ولم تعرف عند الباحثين، أُعِدَّت من طرف دائرة الإعلام والتوثيق بحكومة الجزائر العامة تحت عنوان: **"ردٌّ على عريضة الشاذلي المكي حول المسألة الجزائرية عام 1951م"**.

L'instruction des Algériens au temps de la France coloniale d'après les documentes d'archives suivie de la "Réponse au Factum de Mekki Chadli Sur la question Algérienne 1951".EL Kafila Alger 2014

خامسا/ مؤلفات تحت الطبع

وللمؤلف تحت الطبع مجموعة من الكتب وهي كما يلي:

أولا: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ويتكون من أربعة كتب هي:

1 ـ الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية. [الطبعة الثالثة].

2 ـ فصول في تاريخ الجزائر المعاصر.

3 ـ الجزائر في باندونغ، مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر [الطبعة الثانية].

4. تاريخ حاضرة قسنطينة لأحمد بن المبارك بن العطار القسنطيني.

ثانيا: ـ تاريخ الجزائر المعاصر [دراسات ووثائق، وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة] [الطبعة الرابعة والخامسة].

ثالثا:الكتاب التذكاري لشيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، تنسيق وإعداد المؤلف 6 مجلدات في 2000 صفحة من الحجم الكبير، صدر القسم الأول تحت عنوان: **"رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبابه"**، الجزائر، البصائر للنشر والتوزيع[2014م/ 625 صفحة].

مؤلفات تحت الإعداد:

وللمؤلف تحت الإعداد مجموعة من المشاريع والكتب التالية:

1 ـ الفكر السياسي بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين.

2- تجارب في الرحلة:

أ ـ الرحلة المصرية.

ب ـ الرحلة الدمشقية.

ج ـ أمريكا التي رأيت [رحلتي إلى أمريكا، أوت 2006م].

د ـ يوميات باحث جزائري في فرنسا [رحلتي إلى فرنسا، 1993/ 1996م].

هـ ـ الرحلة الحجازية

و ـ الرحلة المغربية.

ز ـ الرحلة التونسية.

حـ سبعة أيام في فرنسا.

3ـ بلاغة العرب في الجزائر للأستاذ عثمان الكعاك، تقديم وتحقيق.
4 ـ الإمام عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر [تأليف].

سادسًا/ الإشراف ومناقشة الرسائل العلمية:

كما ناقش وأطَّر المؤلف عديد الأطروحات والرسائل في قسمي الماجستير والدكتوراه. بجامعات وكليات وأقسام عديدة عبر الوطن.

سابعا/ وحدات البحث:

شارك المؤلف في وحدات بحث أهمها:
1 ـ معجم الفقه المالكي من خلال رسالة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني [العمل منجز].
2 ـ معجم أعلام التربية والتعليم والتدبير بالمغرب من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن العشرين، معجم أعلام، [العمل منجز].
3 ـ الفتاوى والتاريخ [تاريخ الغرب الإسلامي من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري من خلال الفتاوى الفقهية، والمشروع الآن منجز [2014م].

13 **جمادى الأولى** 1438**هـ**/10 **فبراير** 2017**م.**